٢٢٨

HARLEQUIN®

روايات احلام

حيرة

ليندساي ارمسترونغ

www.elromancia.com
مرمورية

حيرة

ـ لا يمكن أن تكون رجلاً، أنت آلة!

لن تقع أونور في شباك راين بايلي! فهو أولاً مديرها، وثانياً من النوع الذي يأتي عمله في الدرجة الأولى قبل كل شيء آخر...

وأونور لم تكن مستعدة أن تحل في المرتبة الثانية في حياته، ولا أن تكون الزوجة الحنون المحبة التي يبحث عنها راين.

لكن ماذا لو اتضح لها أنه يريد نوعاً آخر مختلفاً تماماً من النساء؟!...

ISBN 9953150532
9 789953 150536

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س
الاردن: ١,٥٠ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الامارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ دراهم
البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٥ جنيه
المغرب: ٤٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان ١٠ ريال

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة. بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال. تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

A Careful Wife

First published in Great Britain 1996

Harlequin Mills & Boon Limited

© Lindsay Armstrong 1996

Translation © Dar El-Farasha- 2001

ISBN 9953 - 15 - 053 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/ناكس: ٤٥٠٩٥٠ - ١ - ٩٦١ - بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

ليندساي أرمسترونغ

ولدت في جنوب أفريقيا وتقيم اليوم في أستراليا مع زوجها النيوزلندي الأصل وأولادهما الخمسة. تنقّلت مع عائلتها بين مختلف المقاطعات الأسترالية، وعملت مع زوجها في ميادين تعتبرها غريبة، منها إنشاء مزرعة والعمل في مجال تدريب الجياد. لكن تلك الاهتمامات عادت عليها بمنفعة كبرى حين انصرفت إلى التأليف!

بدأت ليندساي بتأليف الروايات بعد ذهاب أصغر أولادها إلى المدرسة، الأمر الذي أثار فيها شعوراً بالفراغ.

وهي لا تزال تؤلف حتى الآن وتستمتع بعملها هذا.

١ ـ امرأة من جليد

لم يكن راين بايلي رجلاً يسهل التعامل معه، لا سيّما عندما يحتدّ ويشتدّ غضبه مثل الآن، إذ يغدو رجلاً لا يُحتمل.

تأملت أونور لينغارد الموقف من مقعدها الجلدي الفاتح القائم في زاوية من زوايا هذا المكتب الفاخر. وراحت تحمد ربها لأنها خارج نطاق اللوم الذي ينصبّ على الحاضرين.

جلست أنيقة الهندام، حسنة المظهر، وهي ترتدي بذلةً من المخمل الأسود من تصميم شانيل، وقميصاً أبيض حريرياً، فيما جواربٌ صافية اللون تغطي ساقيها الطويلتين، وحذاءٌ مخملي أنيق يزين قدميها الصغيرتين.

أما في حضنها، فاستقرت مفكرةٌ كانت تمسكها باهتمام، وقد أخفضت إليها بصرها وهي تنصت بقلق إلى تبادل الكلام الناري.

كان راين يوبخ الرجلين الجالسين إلى طاولة مكتبه: «هذه المناقصة الثالثة التي نخسرها في الأشهر الماضية، لا بل نخسرها أمام الشركة ذاتها، فما الذي يحدث بحق السماء؟ وما الذي يدفعني إلى هدر رواتب شهرية، يساوي كل منها ثروة؟ أمن أجل تدمير شركة بايلي للإنشاءات؟ أعذراني لهذه الشكوك التي ساورتني ولكن..».

قاطعه بيل فورتشن على عجل: «لقد قدمنا عرض المناقصة وفق إرشاداتك تماماً يا راين».

رد عليهما راين ببرودة مناسبة: «ألم يخطر على بالكما أن تشتبها

www.elromancia.com

بالخسارة، عندما فقدنا المناقصات مرتين وثلاث؟ لا على ما يبدو. بل اكتفيتما بالتراجع مثل صبيي كشافةٍ يخوضان منافسةً للمرة الأولى.

ـ ولكنك كنت مسافراً في الخارج..

فانحنى راين فوق مكتبه وأجاب: «أيجب أن أنفذ الأعمال بنفسي؟ هل تريدني أن أمسك بيدك لأعلمك مبادىء العمل؟ ألا تعرف أن لا أحد يستطيع أن يتقدم بأسعار أقل من أسعارنا إلا إذا تلاعب بنوعية مواد البناء أو... قام برشوة موظفٍ هنا أو هناك؟».

أجابه بيل: «نعم، لقد تعجبت من الأمر، ولكننا لا نملك أسلوبك.. في معالجة مثل هذه الأمور».

رد عليهما رئيسهما بلهجةٍ قاطعة وباردة: «إذاً، أقترح عليكما أن تتمرسا بأساليبي، وإلاّ طردتكما من العمل. وكفى جدالاً».

وما لبث الرجلان أن غادرا مكتب راين، بعد أن نظرا باتجاه أونور وهما على قدرٍ من الإحراج. كانت قد سبقتهما في الوصول إلى المكتب بلحظاتٍ، وتلقت تذمراً جافاً في غضون هذا التوبيخ. وبقيت تنتظر راين إلى أن جلس إلى مكتبه ثانية، وأقفل الملف أمامه بخبطةٍ قوية، ثم أعطى سكرتيرته التعليمات هاتفياً. واغتنمت هذه اللحظات القليلة في مراقبته بتحفظ.

كان راين بايلي في الأربعين من عمره، رجلاً طويلاً وأسمر وخشن الملامح. لا يمكن وصفه بالوسامة، ومع ذلك يملك من الحضور ما يفرض مزيجاً من الهيبة والإثارة. أما عيناه فرماديتان داكنتان ثاقبتان، تسمّران من ينظر إليه في مكانه. ولكم أثرتا في العديد من النساء بصورة غريبة أفقدتهن رباطة جأشهن. عدا عن ذلك، كان مطلّقاً، ومهندساً مدنياً استطاع أن يجمع ثروة عن طريق العمل في شركة بايلي للإنشاءات. ومع الوقت، تفرّغ إلى أعمال أخرى. خلال معظم الفترة التي أمضتها أونور في خدمته، كان مسافراً، ولكنها سمعت عنه ما يكفي لتعرف أنه رجلٌ صعب.

كانت مستغرقةً في تأملاتها، وهي ما تزال تحدق إليه خفيةً، عندما

تكلم معها ببطء: «لماذا تبدين بهذا التعالي يا آنسة لينغارد؟».

فضاقت عيناها وأجابت بلطف: «كنت أتساءل فقط إن كان حضوري الآن تصرفاً دبلوماسياً ضرورياً؟».

ـ أستطيع أن أقول إنه رغم شهاداتك وخبرتك، وآداب السلوك التي تتحلين بها، والهالة الحضارية ـ إذا لم نقل هالة التفوق ـ فقد وظفتك أمينة على مجموعتي الفنية. ولهذا، أنت موظفةٌ كأي موظفٍ آخر عندي.

ردت عليه باللهجة ذاتها، مع أنها شعرت أن نبضاتها تسارعت قليلاً: «واسمح لي أن أقول يا سيد بايلي: لو كنت أعمل نادلةً في مطعم، لطلبت أن يتصرف معي صاحب العمل بصورة منطقية وعقلانية».

فأجابها بغضب: «هل تعتقدين أنني كنت غير منصف؟ إذاً أنظري إلى الأمر من الزاوية التالية! لولا وجود شركة بايلي للإنشاءات لما توافرت مجموعةٌ فنيةٌ تؤتمنين عليها».

وقفت: «ربما من الأفضل أن تتصل بي عندما يصفو مزاجك. فلا أعتقد أن باستطاعتنا إنجاز أي اتفاقٍ في هذه اللحظة، و...».

ـ اهه، لقد أخطأت في هذه النقطة. هل حدث أن قام أي رجل بإغوائك حتى فقدت السيطرة على نفسك؟

لزمت الصمت لأن كلامه أخرس فيها القدرة على النطق. أما هو، فاستأنف كلامه بعد توقفٍ: «أو هل حاولت إغواء رجل ما بصورةٍ لا تقاوم، بدلاً من أن تكوني على هذه الصورة المثالية من البرودة والتعالي؟ ورغم ذلك، لا تتفكين عن إرسال ذبذباتٍ من الإغراء. فمجرد التفكير فيك وقد أرخيت شعرك وأطلقت لجسدك الجميل الفارع حرية التحرك، وأنت تتحدثين بكلامٍ ينطوي على ألف معنى...».

ـ سيد بايلي...

قاطعها بايلي وتابع بكسل، متوقفاً عند كل مقطع: «إنها معضلةٌ تحيّر العقل فعلاً هل تعلمين؟ أظن أن الدانتيل الأسود يناسبك تماماً. وهكذا... هذا ما يمكننا تحقيقه معاً يا آنسة لينغارد.. التشديد على هذه

المسائل».

فما كان من أونور إلا أن أقدمت على التصرف الوحيد الذي يجنبها صفة الغباء، فأطلقت لغضبها العنان، ثم استدارت على عقبيها وسارت خارج المكتب وهي تصفق الباب وراءها متجاهلة نظرة الذعر التي أظهرتها سكرتيرته، بام ماير.

يقع مكتب أونور في مركز بايلي، وهو مبنى عالٍ يشرف على نهر بريسبان ويقع على ضفته، وقد احتلت شركة بايلي للإنشاءات وشركاته الأخرى ثلاثة طوابق منه. فعلقت بعض اللوحات من مجموعة بايلي الفنية في قاعات الاستقبال، فيما زين البعض الآخر الجناح الخاص لمكاتب راين بايلي.

سارت أونور للمرة الأولى عبر الأروقة من دون أن تحفل بلوحات ماكوبين وستريتون التي تفضلها، إضافةً إلى لوحات توم روبرتز وابسولم. كما أنها لم تلقِ أي نظرة على النهر الذي يعكس أشعة الشمس في لوحة مكتبها واستندت إلى الباب متجهمة الوجه، متوهجة العينين. وراحت تمعن التفكير في الإهانات التي تعرضت لها.

ابتعدت عن الباب لتلتقط سماعة الهاتف، وقد بدأ بالرنين، ثم ردت بجفاء: «نعم؟».

ـ أونور، أنا بام. أنا... لقد، لقد طلب مني السيد بايلي أن...

فردت عليها مختصرة النقاش: «بام، من فضلك، أسدي لي خدمة وقولي له أن يذهب إلى الجحيم».

أجابتها بام بنبرةٍ معنفةٍ: «أونور، لا أعتقد أن بإمكاني ذلك، فسيمسي إرضاؤه أكثر صعوبة».

ردت أونور بعنف: «أكثر صعوبة؟ هذا الرجل غير منطقي بتاتاً!».

ـ لا أشاطرك الرأي أونور، فكما تعرفين كان طيباً جداً معي...

تنهدت أونور وأبعدت السماعة عن أذنها. فمن المعروف أن بام تكاد تعبد راين بايلي، لا سيّما أنه رفعها من طابعةٍ بسيطةٍ إلى سكرتيرته

الخاصة، كما ساعدها في التخلص من علاقة غرامية عنيفة.

وما لبثت أن قرّبت سماعة الهاتف من أذنها ثانية، وقاطعت بام التي كانت تتحضر للإشادة برئيسها: «حسناً، حسناً، أخبريني فقط ما الذي يريده مني، حتى أعلمك، بعد ذلك، أنني لن أفكّر في تنفيذه».

أجابتها بام بسرعة: «لقد فُرض علينا في اللحظة الأخيرة استقبال وفدٍ حكومي من دولة بابوا ـ نيوغينيا في المساء. ويحتمل أن يتم توقيع عقدٍ لبناء جسر وهو... يرغب في أن تحضري حفل الاستقبال هذا».

فبادرت أونور إلى القول: «أنا لا أفهم في بناء الجسور ولا أعرف إلا القليل عن دولة بابوا ـ نيوغينيا، بالإضافة إلى...».

ـ إنه يرغب في حضورك بصفتك الأمينة على مجموعته الفنية. يبدو أن الوزير متحمسٌ جداً للفن الأوسترالي، لا سيما الفن الخاص بسكانها الأصليين، أونور... أرجوك!

وراحت أونور تردد على نفسها الأسئلة، وهي تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها: «لماذا فعلت ذلك؟ لماذا لم أقدم استقالتي وأغادر هذا المبنى فوراً؟».

وسرعان ما عثرت على الجواب، وهي تصرّ على أسنانها: «لأني أريد أن ألقّن راين بايلي درساً لن ينساه».

ثم جلست وهي تتنهد وقد أخذت الأفكار من عقلها حيزاً كبيراً.

كانت مجموعته الفنية واحدةً من أهم المجموعات الخاصة في أوستراليا، وهي تشتمل، بالإضافة إلى اللوحات، على مجموعاتٍ نادرةٍ من الطوابع والميداليات. فبدت مهمة الإشراف عليها أشبه بالإشراف على متحفٍ وطني، وهي فرصةٌ لا تعوض في سبيل إطلاق يدها للإمساك بزمام الأمور.

هذا لا يعني أن راين أعطاها حق التصرف، أو أنه لا يملك القدرة على التقرير في مشترياته. ولكنهما اكتشفا أن آراءهما متماثلة، وبدأ يتقبل الأفكار التي تطرحها من أجل تعزيز مجموعته حتى تحتل المكانة الأرقى.

وسرعان ما سافر بها التفكير إلى عدد المرات التي تغيّب فيها بداعي أسفاره. فشعرت بانزعاج، وراحت تنقر بأصابعها على فهرسٍ أمامها، وقد اجتاحتها المرارة، كيف يمكنني العمل مع رجل يفكر في هذه الطريقة؟ ولكن، ألا يفكر الرجال جميعهم بهذه الطريقة؟ ترى، ما العمل؟ هل ترحل وتفكّر في عمل آخر؟ فلا يفصح الرجال جميعهم للنساء عن أفكارهم.

وما لبثت أن انتفضت واقفة وسارت نحو النافذة. ثم عادت إلى طاولتها بعد بضع دقائق، والتقطت حقيبتها واتجهت إلى غرفة الحمام. فغسلت يديها، وأصلحت من زينتها، وإذا بها تتأمل نفسها ملياً في المرآة.

إنها امرأة فارعة القوام، نحيلةٌ، مما يسمح لها أن تنتقي من الملابس ما يوافق هواها. وقد علق والدها ذات مرة مؤكداً أنها ولدت رشيقة القوام، متناسقة الملامح. ومن غير الضروري أن تنحسّر على المقاييس الجمالية التقليدية، وتساءلت إن كان وجهها مميزاً حقاً. من المؤكد أنها تتمتع بملامح متناسقةٍ وأنفٍ رومانيٍ منحوت. وقد زيّن نمشٌ خفيفٌ بشرتها البيضاء، وزادها حلاوةً شعرٌ أسود قصيرٌ وعينان داكنتان باردتان. أما عنقها فناعمٌ، وكتفاها منتصبتان، تنتهيان إلى يدين رقيقتين، وأظافر قصيرة مهذبة من دون طلاء، فيما لا يزين أصابعها غير خاتمٍ ذهبيٍ مهور تلبسه في بنصرها الأيسر.

وها هي اليوم تقبل على الثامنة والعشرين من عمرها، وتتصف بالثقة بالنفس والاتزان. اكتسبتهما من بيئةٍ فاضلةٍ تربت فيها. لكنها عانت غياب الأم وحنانها منذ صغرها. أما والدها، فكان قاضياً في المحكمة العليا، وهو رجلٌ متذوقٌ للفن، فارق الحياة منذ مدة، مخلفاً في نفس ابنته أثراً كبيراً، وتاركاً لها ميراثاً مادياً مهماً.

أما نصيبها من السفر فوافرٌ جداً، خبرته خلال أيام الدراسة، وبعدها، كما أنها أرسلت إلى اليابان في برنامج تبادلي ونتيجة لذلك، أصبحت تتحدث اللغة اليابانية بطلاقة. ثم اختارت مجال اختصاصها بعناية،

ودوسته لسنوات.

وهنا فكرت بتأمل: هل قادني هذا، من دون قصد مني، إلى أن أبدو إنسانةً متكبرةً تشع منها هالة من التعالي؟

لكنها سرعان ما تمتمت: «تقتضي المسألة الآن، يا أونور، التصرف بذكاء، يجب ألاّ تسمحي لهذا الرجل أن يقهرك.. وهذا كلّ شيء».

* * *

ـ أعتقد أن معظم الرسامين الأستراليين الإنطباعيين كانوا من أتباع مدرسة هيلدبرغ، يا معالي الوزير. وهيلدبرغ هي إحدى ضواحي مدينة ملبورن ولا أعني بها مدينة هيلدبرغ الألمانية. وفي تلك الضاحية، كانوا يلتقون ويجتمعون من وقت لآخر. ولسوء الحظ، كانت أعمالهم مهملة طيلة هذه الفترة.

وكان الوزير رجلاً أسود ضخم الجثة، يتميز بابتسامة لطيفةٍ رد بها على كلامها.

فابتسمت له أونور بدورها وقالت: «في الرائع، لقد حالف الحظ السيد بايلي بالحصول على بعض أعمالهم الفنية الممتازة».

فرد الوزير بلباقة: «وأنا أضيف أن السيد بايلي سعيد الحظ جداً بالحصول عليك، يا آنسة لينغارد. أعتقد أنني أتكلم مع ابنة القاضي لينغارد، أم أنني مخطىء؟».

فأجابته بحرارة: «كلا يا سيدي، لست مخطئاً. هل عرفتَ أبي؟».

ـ تمام المعرفة، وهو رجلٌ رائع. والآن، دعينا نتابع جولتنا يا آنسة لينغارد، فأنا مهتم بها جداً.

وانتهى بها المطاف إلى ملازمة الوزير لأكثر من ساعةٍ، مما اعتبره بعض موظفي الشركة محط تقدير واعتزاز.

وإذا ببيل فورتشن يهمس في أذنها: «نحمد الله على وجودك معنا يا أونور. إذا حصلنا على هذا العقد، فسرعان ما ينسى المدير المناقصات

www.elromancia.com

الثلاث التي خسرناها خلال سفره».

كانت قد أنهت جولتها مع الوزير واستأذنت منه، قبل أن يلتحق بحاشيته. ثم غرق الجميع في مباحثاتٍ عملية مع راين بابلي، أما هي، فقد التفتت إلى بيل متابعة: «أشك في ذلك يا بيل، فذاكرته قوية جداً، ولا أفهم كيف باستطاعتك تحمّله؟».

وما كان من بيل إلاّ أن فغر فاه تعجّباً. واختصر الرد بلهجةٍ غريبةٍ: «إنه من أفضل رجال الأعمال في حقل البناء والإعمار».

ـ أوه، حسناً، يقال إن هذا الحقل يضم كل أنواع الرجال، ولكن لا تعتمد عليّ في المساهمة في تنفيذ أي نوع من عقود الإنشاءات، يا بيل.

ـ ولكنه بدا معجباً بشخصك وخبرتك في الفنون.

ـ بل كان يعرف والدي، وهو من محبي الفنون الجميلة.

لكن بيل استمر يؤكّد على كلامه: «أحياناً، يا أونور. . تولد الفرص الكبيرة من مثل هذه التفاصيل الصغيرة».

لاحقاً، في ذلك المساء، نزلت أونور إلى المرآب الذي يقع تحت الأرض، وإذا بها تجد سيارتها «الفورد» تركن مائلة.

لعنت حظها وتفحصت الإطار المثقوب، ثم فتحت الصندوق وأطلقت شتيمة أخرى، عندما اكتشفت أن الإطار الإضافي مثقوبٌ هو الآخر. فصفقت غطاء الصندوق وقرّرت أن تستقلّ سيارة أجرة لتعود إلى المنزل.

وفيما كانت تشاور نفسها بين أن تصعد إلى مكتبها ثانيةً، فتتصل بمكتب سيارات أجرة، أو أن تخرج إلى الشارع وتجرب حظها، خرج راين بابلي من باب المصعد، وفي أصابعه مفاتيح سيارته.

وما إن رآها، حتى سألها بتكاسل: «هل من مشكلة يا آنسة لينغارد؟ كيف أستطيع مساعدتك!؟».

ولمّا تذكرت كيف تجنبته طوال الأمسية، وكيف تعمدا التعامل بصورة رسمية جداً، أجابته وقد بدا التعب عليها: «كان حريٌّ بك أنت

بالذات أن تقع في هذه المشكلة!».

فابتسم ورد عليها بلطف: «من المزعج حقاً أن نلتقي بمن لا تفكرين الاستعانة به بتاتاً في وقتٍ كهذا، أليس كذلك؟».

فما كان منها إلا أن رمت مفاتيحها داخل حقيبة يدها، وصرخت به قائلةً: «أنت محقٌ تماماً، ولكني لا أحتاج إلى أي مساعدة، بل سأطلب سيارة أجرة. وفي الصباح سأجد شخصاً يصلح لي سيارتي».

فاقترح عليها: «باستطاعتي أن أغير إطارات سيارتك إذا شئت».

ـ لا تستطيع، لأن الإطار الإضافي مثقوبٌ أيضاً.

فرفع حاجبيه هازئاً: «يا الله، لقد كان يومك سيئاً يا آنسة لينغارد، ولكن لا حاجة لطلب سيارة أجرة، سوف أقلك بنفسي».

ـ لا، شكراً يا سيد بابلي. أنت آخر شخص أقبل أن يوصلني بسيارته.

واستدارت لتبتعد عنه. واكتفى راين بالضحك الهادئ.

وإذا بها تكتشف حين بلغت الشارع أن المكان خالٍ من أي سيارة أجرة. وفيما كانت تقف مترددة على ناحية الشارع توقفت بمحاذاتها سيارة لامبورغيني زرقاء عند الرصيف، ثم برز رأس راين من خارج النافذة، وقال بجفاء: «إصعدي يا أونور! أنت تعرضين نفسك للخطر. قد يهاجمك أحد أو يسلبك مالك، فيما أنت تتسكعين هنا بمفردك، وتذرعين الشارع بلا طائل. أؤكد لك، سيصيبك من المكروه ما لن تتعرضي له معي أبداً».

صرت على أسنانها، ثم نظرت حولها. فوقعت عيناها على زمرةٍ من الفتيان عند الأزقة. وحينها، انسلت داخل السيارة، وهي تتنهد إحباطاً.

ـ إلى أين تريدين الذهاب؟

فأجابته بنبرةٍ عادية: «إلى منزلي، وأفضل أن توصلني إلى موقف سيارات أجرة. فأنا لا أريد أن أحمّلك مشقة القيادة لمسافةٍ طويلةٍ».

ـ لديّ فكرة أفضل، فأنا أعرف مكاناً تبقى أبوابه مشرعةً حتى ساعةٍ متأخرة من الليل، وهو يقدم وجباتٍ لذيذة. لا أعرف إن اكتفيت

بالمقبلات التي قدمت في حفل الاستقبال. فأنا لم أشبع بعد. وبالمناسبة، إنه مكان يوفر لك الأمان. وفي الوقت ذاته، يمكننا أن نناقش الأسباب التي تدفعك إلى الاستمرار في العمل لحسابي، وإلى متى تخططين البقاء في هذا العمل، ولماذا لم تشتميني بكلماتٍ يعاقب عليها قانون المطبوعات.

وختم كلامه بحماس وهو يرمقها بنظرة أبرزت الغضب في وجهها، حتى بدا جلياً للأعين: «اسمع..».

فقال لها وقد نفد صبره: «كلا، أنت إسمعي يا أونور، إما أن نصطلح الأمور فيما بيننا، وإما أن يمضي كلٌّ في سبيله».

فأجابته بغضب: «أنا.. وأنت.. ما كان من داعٍ للقيام بأي إصلاح لو لم تتفوه بهذه الملاحظات البذيئة».

هز كتفيه بلا مبالاة: «لم أكن، في لحظتها، في أفضل حالاتي النفسية».

ثم أضاف بشكل مقتضب: «لقد وصلنا إلى المطعم».

لم يكن المطعم الذي اختاره يعج بالكثير من الزبائن. وقد امتاز بمقاعد وثيرة ومريحة، أما الطاولات فمن الاتساع بحيث تسمح لهما بالجلوس مقابل بعضهما من دون انزعاج، وتمنحهما القليل من الخلوة.

كانت الإضاءة ضعيفة، ونخبو من حينٍ إلى آخر، مما يضفي على المكان جواً من الدفء والحميمية.

طلبت أونور طبقاً من اللحم مع البهار والخضار. وقد أبدى رابن إعجابه باختيارها، فطلب الطبق نفسه. إلا أنهما لم يستهلا الحديث إلا عندما حظي كلٌّ منهما بكوبٍ من الشراب الساخن.

أما البداية، فكانت ابتسامة خفيفة منه وكلمةً واحدةً: «إذاً؟».

فارتشفت القليل من الشراب الساخن وقالت ببرودة: «إذاً ماذا؟».

وما لبثت أن ألقت مرفقها على الطاولة، ونظرانها الباردة تتفحص وجهه. صحيحٌ أنه ليس بتلك الوسامة، لكن الله أنعم عليه بهاتين العينين، وبفمٍ بدا حساساً بصورةٍ تدعو للفضول.

ثم جالت بنظراتها على عنقه القوي، وكتفيه العريضتين. ثم على بذلته الرمادية الأنيقة، التي علت قميصاً رمادياً فاتحاً وربطة عنقٍ قرمزية، واسترعى انتباهها شعره الأسود الكثيف، وقد بدأ الشيب يدب فيه..

سألها وهو يلقي عليها نظرة استفهام: «هل تريدين الإفصاح عمّا كتمته طويلاً، أم أبدأ أنا؟».

رفضت أن تسمح له بإخراجها عن طورها، فردت: «أعتقد أنه من الأفضل أن أبدأ بما فعلته بعد ظهر هذا اليوم».

فعبس قليلاً وقال: «إذاً، أقدم لك اعتذاري».

ردت عليه وقد خالط صوتها نبرةٌ من الدهشة: «وأنا قبلت الإعتذار».

فضاقت عيناه وأجابها: «هل هذا كل شيء؟».

وهنا رفعت حاجبها وأردفت: «نعم، ماذا كنت تتوقع؟».

فكر قليلاً قبل أن يرد: «إلقاء خطبة من نوع ما، أو...».

ـ أنا لا أقوم بإلقاء الخطب على الناس، يا سيد بابلي.

فتمهل في الرد وهو يتفحص التعابير على محياها: «كنت غاضبة جداً مني على أي حال».

سمحت لابتسامة خفيفةٍ بالظهور على شفتيها: «نعم، كنت غاضبة ولكني سرعان ما أمعنت التفكير، وكانت النتيجة أنني مهتمة بعملي. وهكذا قرّرت أن أستمر فيه، شرط ألا يتكرر مثل هذا الحادث مرة أخرى».

فما كان منه إلا أن ذكرها، وقد لمعت عيناه بنظرة غريبة: «وماذا عمّا حدث في المرآب منذ قليل؟».

فاعترفت بنبرةٍ متسامحة: «لعلي بالغت هناك قليلاً، والحل يا سيد بابلي أن يقتصر التعامل في ما بيننا على العمل فقط».

فتمتم بتكاسل: «أنت بارعة يا أونور، بارعة جداً».

ثم سكت وهو يرمقها، مركزاً على فمها المتصلب.

فأجبرت نفسها على الاسترخاء قبل أن تتابع الإصغاء إليه: «بفضلك، فزت بمشروع بناء جسر في مجاهل بابوا ـ نيوغينيا فما قولك؟».

فابتسمت عيناها. «أنت.. لا تعنيني.. بالتأكيد؟».

- بل أعنيك. أنت. نعم.

- لكن كل ما قمت به. . .

وافقها الرأي: «لا يذكر».

ثم ابتسم لها متابعاً وقد اعتراها العبوس: «ولكنها قد تكون الزهرة التي رجّحت كفة الميزان لصالحنا. أمتنك على ذلك».

استغل الحيرة التي ارتسمت على محياها ليضيف: «لمَ لا تقرين بأنك ما زلت تقاومين بعمق؟ اعلمي أن ذلك يزيد من إعجابي بك».

فتلون خداها باللون الوردي الخفيف، فيما ضاقت عيناها وهي تقاوم شعوراً شديداً يدفعها إلى أن تقول له إنها لا تأبه البتة بما يعجبه وما لا يعجبه. لكن، وبدلاً عن ذلك، مالت برأسها بتأمل وقالت أخيراً: «ولم أفعل ذلك؟»

فقالت إجابةً جافةً سريعة: «لأنه من غير الطبيعي أن تكبحي هذا الشعور في داخلك بهذه الطريقة».

- شكراً.

ردّت عليه بصوت خافت فيما كان النادل يقدم طبقي اللحم أمامهما: «يبدو أن مفهومينا للطبيعية شديد الاختلاف».

ثم تناولا الطعام في صمتٍ إلى أن قال لها: «أصبحت النساء في أيامنا الحالية، جريئاتٍ جداً في الإفصاح عما يدور في خلدهن».

قالت كمن يكلم نفسه: «لقد علمني والدي أن أحذر من أي إنسان كلامه معسول، كما علّمني أن أفكر ملياً قبل اتخاذ أي قرار».

ثم أضافت ببرودة وهي تشدد على بعض المقاطع: «ولهذا، أعتقد أن إثارتك لغضبي لم تستطع أن تغير إحساسي بأنك أولاً رجلٌ، ورجلٌ يجيد اختيار كلماته أيضاً».

رمى راين السكين والشوكة في صحنه، ثم دفعه بعيداً عنه وأجاب: «فهمت. أهذه طريقتك في إخباري أنك، رغم سكوتك، تفكرين فيّ

بالأسلوب نفسه الذي أفكر به فيك؟».

قالت بحنق وهي تدفع عنها طبق الطعام: «اسمعني، أنا. . .».

ولكنه رفع يديه، وقال بتملق: «أنا أحاول فقط أن أحدد بعض الأمور. فمنذ اللحظة الأولى لتعارفنا، اعتبرت أنك امرأة رائعة. لم يكن في نيتي أن أفصح لك عن هذا الكلام كما فعلت الآن. ولكن حقيقة هذه المشاعر لا تزال باقيةً. ويبدو لي أننا نناسب بعضنا تماماً يا آنسة لينغارد. على أي حال، أنا لا أنوي متابعة التشديد على هذا الموضوع، إذا كنت مصممة بهذا الشكل. .».

فأكدت له: «نعم، أنا مصممة».

ولم تستطع هي نفسها أن تعرف لماذا اكتفت بتلك الكلمات. ففي خضم هذا الغليان من المشاعر في داخلها، كانت تتوقع أن تثير كلماته الأخيرة ولو بعضاً من الحنق والاستهجان.

قال: «جيد، ألديك حبيبٌ؟».

- كلا، وأنت؟

ضحك وأجاب: «كلا، على أي حال، توقعت منك هذا الجواب».

فرمقته بنظرة متشددة، وردت: «أمن غير المحتمل أن يكون لي حبيب؟».

- نعم.

- لماذا؟

أجابها بتأمل: «لأنك ببساطة لا تملكين مواصفاتٍ تؤهلك للانخراط في علاقة عاطفية مع رجل».

- حسناً، قبل أن أذكرك أنك قلت، منذ لحظاتٍ، إنك لن تشدد على هذا الموضوع. . .

فقاطعها بتكاسل: «ولكن هذا موضوعٌ مختلفٌ قليلاً».

- يبدو أنني أعارضك في هذه المسألة. . .

- يمكنك أن تعارضيني في مختلف المسائل يا أونور، فشعوري ينبئني

أنك تمضين الكثير من وقتك في الجدال.

ـ أستتركني أنهي كلامي؟

أجابها وهو يسند ظهره إلى المقعد، وفي عينيه علامات الاهتمام المهذب: «بكل تأكيد».

فنظرت إليه وعيناها تقدحان شرراً: «لقد قطعت عليّ أفكاري».

ـ كنت قد عقدت العزم على مناقشة ملاحظتي التي تتعلق بمواصفاتك المفقودة..

ردت عليه: «آه، نعم.. في ذهني فكرتان. الأولى أن الرجال الخبيرين أمثالك لا يعجبونني، أو قل أولئك الذين يحسبون أنفسهم من أصحاب الخبرة في هذا المضمار...».

ـ إذا كنت تحاولين أن تردي الأمر إلى نوعٍ من النزوة، فأنت مخطئة.

فأجابته بعنف: «بالطبع لست مخطئة».

ـ هل تعتقدين ذلك حقاً؟ أنا أميل إلى تقدير العلاقة بين الرجل والمرأة كثيراً، فهما ركنا الطبيعة البشرية. وللأسف، من الناس من يملك عاداتٍ في تحقير هذه الطبيعة البشرية، ونسف أهم القواعد التي تقوم عليها العلاقة بين اثنين. لكن، بما أنك تؤكدين أنني لست منهم، فيجب إسقاط هذه التهمة عني.

ردت عليه قائلة: «هذا أسوأ كلام منطقي سمعته في حياتي».

فهز كتفيه ورد متحذلقاً: «آه، حسناً، فلننتقل إلى فكرتك الثانية».

ـ قد أكون أنا المرأة التي توقفك عند حدّك يا سيد بايلي.

فاقترح عليها: «ولكن ليس الآن».

ووافقته على كلامه وهي ترد بهدوء: «لا، ليس الآن. ولكن إعلم مبدأ مهماً سيد بايلي. إذا كنت تعجز عن الفوز بي، فذلك لا يعود إلى رجل آخر يشاركني حياتي، بل يعني، في الواقع، أنني ببساطة، غير مهتمة بك».

فضحك وقال: «هذا الواقع البسيط يثبت بالتأكيد أنك خصمٌ جديرٌ

بالمنافسة يا أونور. على أي حال، بما أنك أوضحت النقاط الغامضة، أخبرك الآن أنني أحضرت معي من الخارج بعض اللوحات، وقد نقلتها إلى بيتي مؤقتاً. ولكنها ما زالت بحاجة إلى التصنيف، ومن الضروري إدراجها في دليل فني.. فهل يناسبك المجيء إلى البيت والاهتمام بالأمر؟».

أجابت بصوت بارد كالثلج: «في أي وقت يناسبك يا سيد بايلي»

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ سحرها لا يقاوم

كان راين يقطن في دارٍ بنيت من الحجر الأبيض المرمري، وشيدت وفقاً للطراز المعماري المتوسطي. وهي تشرف على ضفة النهر ويتبعها ميناء خاص يرسو فيه اليخت الذي يملكه. ونظراً لاحتواء المنزل على عددٍ كبيرٍ من اللوحات والتحف الفنية القيمة، فقد جُهز بنظام إنذارٍ متطور.

وفيما أونور تنتظر عند مدخل المنزل، لاحظت شاباً مفتول العضلات، أحمر الشعر، كث اللحية، يقف على الرصيف المقابل. وتساءلت هل يرمقها أم يحدق في سيارتها المكشوفة. لكنها لم تكترث للأمر كثيراً، فسيارتها الكابري غالباً ما تجذب أنظار الآخرين، لا سيما حين تكشف سقفها في عصر يوم جميل كهذا. لكنها سرعان ما نسيت أمره حالما عانقت البوابة جانب السوّر، لتشرّع الطريق أمامها لقيادة سيارتها إلى الداخل.

وحين فُتح لها الباب، كشف عن امرأةٍ تبلغ من العمر أربعين سنة، هي مدبرة منزل راين. فاصطحبت أونور إلى غرفة المكتبة قائلةً: «لن يتأخر كثيراً يا آنسة لينغارد، بل سيأتي حالما ينتهي من مكالمته الهاتفية.. أنظري حولك.. المزيد من اللوحات! وبصراحة لا أعرف أين نثبتها كلها. والآن، أنا مضطرة لتركك بمفردك، فأرجو منك المعذرة، سيصل بعد قليل عددٌ من الزائرين، وعليّ أن أستعد لاستقبالهم».

فردت أونور: «لا بأس يا ماري، سأكون على ما يرام».

وبالفعل، على مدى الدقائق العشرين التالية، وجدت أونور راحةً في

تفحص اللوحات الأربع الجديدة باهتمام بالغ، وانصب اهتمامها على واحدةٍ مميزة.

وفجأةً، قطع عليها صوتٌ أفكارها: «ما رأيك؟».

فاستدارت على عقبيها، ووقع نظرها على راين وقد ارتدى بنطلون كتان من اللون الكاكي وقميصاً أبيض. ونظراً لأنهما لم يلتقيا منذ أربعة أيام، بدا لها أشد مهابة وأكثر اسمراراً وطبيعياً جداً.

وفي الحال، غادرها الارتباح، ما إن راحت عيناه الرماديتان تجولان على جسمها. كانت قد ارتدت فستاناً حريرياً من دون أكمام، قرمزيّ اللون ومنقطاً باللون العاجي، إضافة إلى جوارب فاتحة وحذاءٍ من الجلد الداكن يماثل حقيبة يدها لوناً.

بحثاً عن كلماتٍ لتقطع بها الصمت ورتابة اللحظة، تلفظت بحماس: «لقد أثرت إعجابي!».

فرد غامزاً وهو يبتسم: «وأنت أيضاً، ولكن قبل أن تستهلي كلامك بجملتك الشهيرة: «اسمعني الآن يا سيد بايلي» لنعد إلى موضوع اللوحات. لقد حالفني الحظ حين عثرت على هذه اللوحة التي رسمها سيسلي، ألا تعتقدين ذلك؟».

تأملت التناسق الناعم للمناظر الطبيعية في اللوحة، ثم تنهد «هلاّ أخبرتني، كيف صادف أن عثرت على هذه اللوحة؟».

ـ لي صديق إنجليزي، وقع عليها في علية منزلٍ لأجداده، عندما كان يتفحص تسرب المياه من السقف.

فردت عليه هازئة: «ترى، أما زال صديقاً لك؟».

ـ آه، أعتقد أني دفعت ثمناً عادلاً مقابل الحصول عليها. لكني فقط... لا أعرف تماماً أين أثبتها..

فأجابته من دون تفكير أو انتباه: «لو كانت هذه اللوحة ملكي، لعلقتها في غرفة نومي، فمن الرائع أن تطالع المرء هذه المناظر ما إن يفتح عينيه في الصباح».

رفع حاجباً وقال: «ألا يغريك التظاهر أمام الآخرين بلوحةٍ لسيلي؟».

ـ كلا، هل تغريك أنت هذه المسألة؟

فكر قليلاً ثم أجاب برصانة: «كلا، بل أفضّل أن أثبتها في غرفة نومي، وأفكر فيك يا أونور فيما تستيقظين».

ـ لقد أقحمت نفسي في أمر لا شأن لي به. سامحني فأنا لم أتعمد ذلك. على أي حال، إن كنت قد حضّرت جميع المستندات، فسأعود إلى المكتب الآن، وأبدأ بإجراءات التأمين.

ثم استدارت وأشارت إلى إحدى اللوحات الأربع وقالت: «هذه اللوحة... تحتاج إلى إطار جديد. أما اللوحات الأخرى فتبدو بحالة جيدة حسبما أرى. ولكن...».

ـ لا أريدك أن تعودي الآن إلى المكتب يا أونور، ففي جعبتي مخططاتٌ أخرى تشغلك في هذه الأمسية.

فتصلب وجهها وحدقت إليه: «ماذا تعني؟».

ـ لقد دعوت بعض الأصدقاء إلى نزهة نهرية عند الغروب وأريدك أن ترافقينا.

ـ لماذا؟

ـ بصفتك المهنية، فأنتِ القيّمة على أعمالي الفنية.

ـ في نزهة نهرية؟ بالله عليك يا سيد بايلي! أعتقد أنك تداوم على المراوغة. ولا تقل لي إنك بصدد عقد صفقةٍ لبناء جسر جديد، وتريد مني مزيجاً من براعتي وحظي. فأنا، بكل بساطة، لن أصدق هذه الحكاية! ولهذا...

ـ لا، لن تتم مناقشة صفقةٍ لجسر آخر، ولكن براد أولدفيلد سيكون من ضمن المدعوين.

ـ ولهذا أنا... ماذا قلت؟! براد أولدفيلد.. بنفسه!

واستمر تعجّبها، بصمت دلّ على ذهولها الكامل.

فأجابها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ ماكرةٌ: «نعم، هذا ما قلته. إنه أحد أشهر الرسامين، كما تعلمين. ورغم كل الروايات التي نسجت حول حبه للانعزال، استطعت إغراءه بالخروج من قفصه والانضمام إلينا في هذه الأمسية. فهل ستأتين؟».

أجابت بلهجة المستسلم: «حسناً.. لكن ثيابي غير مناسبة لنزهة على متن يخت...».

ـ ليست نزهةً من النوع الذي تفكرين فيه.

وأثبت وابن أنه محقّ فعلاً...

كان يخته ملقباً بساندرا لي، وهو عبارةٌ عن مركبٍ يبلغ طوله خمسة عشر متراً، يشرف على قيادته شابٌ بملابس بيضاء ناصعة. وهو يتألف من طابقين، تتخللهما مقصورة تعتبر قمةً في الفخامة والرفاهية.

جلست أونور في مقعد وثير تكسوه الوسائد الحريرية، وفي يدها كوبٌ من عصير التفاح. والأعجب أن براد أولدفيلد جلس إلى جانبها، وقد أحاط بهما عشراتٌ من المدعوين الآخرين.

مشكلة وحيدة جابهت أونور. فكثرٌ هم المدعوون الذين اختلطت عليهم حقيقة صفتها المهنية. وأول ما كشف لها هذا الواقع هو نظرات براد الفولاذية الثاقبة، التي كانت ترميها بسهام من عينين زرقاوين ووجهٍ أهرمته التجاعيد. فقد قال: «إذاً أنت الأخيرة؟ أرجو أنك تدركين ماذا تفعلين».

وقبل أن تستوعب ما يرمي إليه، ردت عليه بعبوس: «ولِمَ أفعل؟».

ثم استدركت وقد فهمت قصده: «أوه، لا...».

لكنه لم يتركها تنهي كلامها، بل استأنف وكأنه بعنفها: «ليس من السهل أن تعيش امرأة مع هذا الرجل. وهذا ما اكتشفته ساندرا بعد فوات الأوان، فدفعت الثمن غالياً. وبكلام آخر، ما كان يجب أن تتزوجه أبداً. فزواجهما أشبه باجتماع نمرٍ ونعجة. ومن السخرية أنه حافظ على اسم هذا المركب. وكما تعلمين، إنها ابنة أختي، وهي ما تزال على حبها له، على ما أعتقد. وهذا، في رأيي، مدعاةٌ للشفقة..».

فقاطعته بحزم: «سيد أولدفيلد، أنا موظفةٌ لدى راين بايلي. وأعتبر نفسي قيمةً على الأعمال الفنية والتحف.. لا أكثر ولا أقل».

- ماذا؟ أوه، نعم. عندما أخبرني أنه استخدم موظفاً كأمين على مجموعاته الفنية، توقعته رجلاً مسناً بنظارات سميكة. وعلى أيّ حال يجدر بي أن أخبرك أنني قط لم ألتق بأمين متحفٍ، أو قيّم على مجموعاتٍ فنية، استطاع أن يلفت انتباهي، أمّا أنت، فتشكلين الاستثناء في القاعدة، شرط ألا ترهقي كاهلي بترهات التحليلات والنقد الفني. فأنا لا أستطيع تحمل ذلك أيضاً، بل أرسم فقط ما يمليه عليّ إلهامي. فإن حظيت بإعجاب الناس، عددت ذلك حسناً، وإلاّ، فهذا شأنهم.

ردت عليه بابتسامة باهتة ثم قالت: «سيد أولدفيلد، أنا معجبة جداً بأعمالك. ولكن ماذا لو تحدثنا في موضوعٍ آخر؟.. كهذه المناظر الطبيعية التي تحيط بنا، أو هذا الطقس الذي ننعم به حالياً؟».

فأطلق براد ضحكةً من أعماق قلبه، ودس يده حول ذراعها قائلاً: «بكل سرور يا عزيزتي».

ثم استدار نحو الجمع المحيط بهما، وهتف بهم: «لا تنسوا أنني ما زلت أعتبر راين محظوظاً بأي حال».

كان الظلام قد أرخى سدوله عندما بدأت «ساندرا - لي» رحلة العودة من مصب النهر وما إن اجتازوا أرصفة ميناء نيوفارم، حتى دب المرح في الحشد، بتحريضٍ من براد أولدفيلد نفسه. وظهر أنه، رغم حبه للعزلة، يستغلّ أوقاته على أفضل وجه، وأنه، من دون شك، يهوى صحبة النساء الجميلات. لكنه، بعد تنقله بين هذه وتلك، أعلن أن أونور هي الزهرة الأجمل بين المدعوات.

إثر ذلك، علق راين وهو يلاحظ التورد في وجنتي أونور: «من حسن الحظ أنه لا يخرج من عزلته في أغلب الأحيان. فمن الواضح أنك أسرته بسحرك».

ردت عليه بلهجة لاذعة: «رغم أنه عجوز متصابٍ، ولكنه من أولئك

الذين لا يسعك إلا الإعجاب بهم. لم أكن أدري أنكما قريبين».

رد عليها وهو يتأملها بنظراتٍ ثاقبة من عينيه الرماديتين.

- لسنا قريبين... حسناً، بالمصاهرة وحسب.

وإذا بصوتٍ يتردد في داخلها: أعلم ما الذي تفكر فيه يا راين. أنت تتساءل هل أتحرّق شوقاً لمعرفة قصة زواجك. لكن الجواب هو لا، فأنا لا أهتم بذلك البتة. إذاً، كيف أثبت ذلك... لنفسي؟ ورداً عن السؤال الذي فاجأها به وجدانها، استدارت وابتعدت عنه.

استمرت الحفلة حتى رسا اليخت في رصيفه بعد مرور ساعة على الأقل. ولمّا كان الوقت متأخراً، قررت أونور أن تغادر بُعَيد رحيل أول مجموعة من المدعوين. إلا أن براد وقف حاجزاً بينها وبين الذهاب، وقد خطر على باله فجأةً تبادل الأحاديث حول الأعمال الفنية. واستمر في ذلك، من دون كلل، إلى أن غادر آخر المدعوين. وهنا فقط، أعلن بصورةٍ مفاجئةٍ، أن الوقت قد حان ليخلد إلى النوم. فأسر لها بغمزةٍ من عينيه: «لقد دعاني راين للمبيت عنده هذه الليلة».

ثم نزل من المركب عابراً رصيف المرسى، متجهاً نحو المنزل.

هزّت أونور رأسها، ثم عادت إلى المقصورة، لتتناول حقيبة يدها. وإذا بها تجد راين مكباً على بعض المستندات الملينة بالأرقام، على الطاولة أمامه.

وما إن رآها، حتى رفع رأسه عن المستندات، ووضع قلمه جانباً، ثم قال: «ظننت أنه لن يحررك من الأسر أبداً».

ردت عليه وهي تلتقط حقيبتها: «وأنا أيضاً. على أي حال، شكراً على...».

- لِمَ لا تبيتين هنا يا أونور؟ أنا متأكد من أن براد لم يكن يرمي إلا إلى ذلك في احتجازه لك.

أفلتت الحقيبة من يدها لوقع المفاجأة، فانحنت لالتقاطها وهي تتفوه باللعنات. ثم سمعت نفسها تقول بفظاظة: «ولماذا يقوم بذلك؟».

أسند راين رأسه إلى ظهر الكرسي وأجاب من دون مبالاة: «لأنه ما زال يحبني رغم كل ما جرى بيني وبين ساندرا».

أطبقت على حقيبتها بكلتا اليدين، ثم ردت عليه: «لست متأكدة من أنني فهمت تماماً ما ترمي إليه؟».

فابتسم لها وأجاب: «أعتقد أنه لم يتكهن أنك امرأة باردة ومتزمتة يا أونور، فقرر - حسبما هي العادات بين الرجال - أن يمد لي يد المساعدة».

فحدقت فيه عابسة ثم سألته بمزيجٍ من العنف وعدم التصديق: «ما هذا الذي تقوله؟».

- أقول، إنه يريد مساعدتي، بصورة ما، في ما أهدف إليه.

- هل... هل أخبرته فعلاً... أني..؟

لكنه أنكر ادعاءها قائلاً: «لم أنبس ببنت شفة».

- إذاً كيف...؟ أوه، أنا عاجزة عن الكلام!

فاعتذر لها بسخريةٍ واضحة: «لا بد أنه استشف ذلك.. أعني، لعله شعر باهتمامي بك».

- أعتقد أننا قررنا ألا نخوض هذا الموضوع.

- أنت من قرر ذلك.

- غير صحيح، لقد وافقت بنفسك ألا تتطرق إلى هذه المسألة.

رد عليها ساخراً: «لكنني لم أمسك بعد».

صاحت به وهي تشعر بالمرارة: «يستطيع المرء أن يقع على طرق مختلفة للتطرق إلى المسائل. وإذا كان هذا ما أواجهه في كل مرة نتواجد معاً... فلا بأس، ولكنك لن تصل إلى أي نتيجة معي».

- لمَ لا تجلسين، عوضاً عن أن تثوري بهذا الشكل، وتخبريني عن السبب؟ أو ربما تسمحين لي أن أخبرك بنفسي؟.

ثم أشار إلى إبريقٍ قريبٍ منه وقال: «هل تقبلين، فنجان قهوة؟ لقد حضرتها ماري بنفسها.. أخبريني يا أونور، هل تعتبرين نفسك أرفع مكانةً مني؟».

ومرةً أخرى، استولت عليها الدهشة، ثم أجابت: «لا، ماذا تعني بسؤالك هذا؟».

تلفتت حولها باستياء، ثم تهالكت في أحضان أريكة عريضة.

كان الأثاث في بخت «ساندرا لي» يقتصر على اللونين العاجي والرمادي. فامتدت، تحت أقدامهما، سجادةٌ من اللون العاجي، فيما ازدانت المفروشات برسوم أزهارٍ من هذين اللونين، ومصابيح من الرخام الأبيض والأسود، وقد تخلل غطاءها خيط أخضر فاتح.

أما هو، فوضع كوباً من القهوة إلى جانبها، ثم تراجع ليستعيد مكانه أمام الطاولة، وقال: «تفضلي، أين وصلنا في الحديث؟ آه...».

فأكملت بلهجة لاذعة: «إن كنت أعتبر نفسي أرفع منك مكانةً، سيد بايلي، ما الذي يدفعك إلى تفكير كهذا، بحق السماء؟».

- أنت سليلةُ عائلةٍ عريقةٍ من القضاة، وأصحاب المهن الحرة، أما أبي فلم يكن إلا مجرد عامل في منجم للفحم الحجري.

طرفت عينيها وقالت: «لم أكن أملك أدنى فكرة عن ذلك».

- ألا تعتبرينني رجلاً عصامياً وانتهازياً ومدعياً؟

احتجت على كلامه: «كلا، بالطبع لا. اسمعني يا سيد بايلي، لقد سبق أن اتهمتني بذلك!».

فابتسم ثم شبك أصابعه واستطرد قائلاً: «ألم تلاحظي في هذه الأمسية أنك بدوت بين النساء، أشبه بفرس أصيل بين مجموعة من الأحصنة الصغيرة؟».

كانت قد بدأت باحتساء القهوة، وإذا برذاذها يتطاير لمّا سمعت هذا الانتقاد منه، فأعادت الفنجان إلى مكانه بقوة وقالت: «كيف تجرؤ على انتقاد تصرفاتي على هذا النحو؟ فلم تخطر ببالي كلمةٌ مما تقوله».

تمتم وهو يلوي شفتيه بخبث: «ربما تصرفت على غير وعي منك. ولكني رأيت بوضوح كيف كنت ترمقين مجموعة المجوهرات التي زينت عنق بعض المدعوات.. بشيء من القرف. كما شعرت كيف انكمشت

www.elromancia.com

أولئك النسوة على أنفسهن بسبب نظرتك. بدا وكأنك تمنيتِ لو اقتصرت زينتهن على عقدٍ من حبات اللؤلؤ الصغيرة، وخاتمٍ ذهبي بسيطٍ مثلما ارتديت».

ـ حسناً، لقد فهمت الآن ما تعني. أنت تظن أني امرأةٌ متعاليةٌ ومتكلفة...

ـ ألم تقدمي على... ؟

فأقرت: «نعم، لقد أقدمت على وضع خاتم بسيط والتزين بعقدٍ من حبات اللؤلؤ الصغيرة. ولكن ذلك لا يعود إلاّ إلى الزينة التي أفضلها شخصياً. وعلى أي حال ليس لهذا علاقة بشعوري تجاهك!».

فابتسم لها بلطف وأردف: «لقد أرحتني».

ـ أف...

إلتقطت فنجانها ثانية، وأخذت تحتسي القهوة وبوادر الاشمئزاز بادية على وجهها.

فأضاف بتأمل. «أظن لا يبقى أمامنا إلاّ التكلم عن خياراتك الشخصية الطبيعية بالنسبة للرجال طبعاً».

ـ أعرف تماماً ما تعني!

ـ إذاً كيف تفضلينهم؟ أو بالأحرى ما الذي يعجبك في مظهرهم؟

أجابت وهي تكبح نبرةً من التعالي والتكلف في صوتها: «لن أناقش هذه المواضيع معك، فكلامك مشينٌ للغاية و...».

ثم مالت برأسها وحدقت إليه بنظراتٍ باردةٍ وأكملت جملتها بصوت ناعم ومهيب: «... خبيث أيضاً».

نهض من مكانه وقال. «دعينا نختبر ذلك. أنت تعرفين أن الكثيرات من النساء لا يعرفن مبادىء اختيار الرجل المناسب. وإذا تناولت مثالك، أؤكد، أن مشاعرك لم تستيقظ بعد، لا بل بدرجةٍ قد يدهشك مقدارها. إنك امرأة لا خبرة لها في هذه المشاعر إطلاقاً».

تلقت أونور صدمتها الرابعة في هذه الأمسية. لكن الاحمرار، هذه

المرة، اعتلى كامل وجهها وعنقها، مما دفعه إلى المضي قدماً بصوتٍ خافت: «أرى أن هذه المسألة قد خطرت على بالك أيضاً يا أونور، أليس كذلك؟ لماذا إذاً لا تمعنين التفكير بفرضيتي وتقرين أنك، حتى الآن، اخترت من الرجال من لا يناسبك إطلاقاً؟».

نطقت بكلمةٍ: «كيف..؟».

قبل أن تسكت وتسعل قليلاً ثم تابع: «كيف يمكنك أن تحكم عليَّ بهذا الشكل، ونحن بالكاد نعرف بعضنا؟».

هز كتفيه بعدم اكتراث وأجاب: «الدلائل كثيرة.. إحداها، تصميمك الشديد على تجنب العلاقات العاطفية. أما بالنسبة إلى الباقي، فسوف أخبرك به.. يوماً ما».

نهضت فجأة لتخفي الارتباك الذي اجتاحها. ماتت الكلمات على شفتيها قبل أن تتفوه بها، وتداعت مشاعرها بصورة جلية جداً. وفجأةً، أضفى عليها قربه الشديد شعوراً برجولته الطاغية تجتاح كيانها. ترى، كيف ستتصرف إزاء الأحاسيس التي ستنتابها؟

وإذا بالذعر يكلل موجة مشاعرها، فتملكها الخوف من نفسها، وما لبثت أن ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي ترجو ألا يقرأ القلق البادي على وجهها. ولكنه لم يبدِ أي حركة تنم عن ذلك، بل اكتفى بمراقبتها بوقار.

لكنه لا شك اكتشف تخبطها في دوامةٍ من المشاعر. وسرعان ما تملكها الغضب، فنظرت إليه وقالت ببساطة: «أنا ذاهبة».

فرد عليها بهدوء: «عمت مساء يا أونور. أطلبي من ماري أن تفتح لك البوابة». وفي الوقت ذاته تشابكت نظراتهما بعمق، قبل أن تشيح بوجهها بعنف... وتغادر.

***

أضفت الأيام القليلة التالية على أونور شعوراً غريباً بالانزعاج. لم يكن ذلك عائداً إلى أمسيتها مع رابن بايلي، بل إلى هذا التآلف المفقود مع نفسها.. باتت لا تستطيع التركيز على فكرة، واجتاحها الغضب من نفسها

www.elromancia.com

لأنها سمحت لهذا الرجل أن يفقدها توازنها النفسي. وكان يجدر بها أن تصمد أمامه، لا سيّما أنه عُرف بتأثيره على أي امرأة يقابلها.

وفي إحدى الأمسيات ونيما هي تتناول العشاء بمفردها في شقتها، أمام النهر، تساءلت إن كانت تكرهه لهذا السبب بالذات.

كانت شقتها، في العادة، مصدراً لسعادتها. فهي واسعة، وحافلةٌ بأثاثٍ شهد على طفولتها في منزل والديها. فلطالما عُرف عن والدها حبه لهوايةٍ جمع القطع الأثرية. فورثت عنه هذا التقدير، وصارت تحس برضى نفسي كلما تأملتها، أو وقع نظرها على مجموعتها الخاصة من التحف الفنية.

أما أوقاتها، فتقضيها، بالإضافة إلى العمل، في إعداد المأكولات التي تحسن تحضيرها، أو مع شلةٍ واسعةٍ من الأصدقاء، كثيراً ما دعتهم إلى العشاء في شقتها. وأحياناً أخرى، تستمتع بخوض مباريات تنافسية في التنس ثلاث مراتٍ في الأسبوع. هذا إلى بضع ساعات تنفقها لتعطي دروساً في الرسم والتلوين لأطفالٍ معوقين. أضف إلى خبرتها ومهارتها في تصميم الأزياء وخياطتها، هواية فكرت كثيراً في إحالتها إلى مهنة، لكنها سرعان ما اكتفت بتصميم ملابسها الخاصة.

لكن ظلّ سؤال واحد يطرق تفكيرها: لماذا أشعر فجأةً أن حياتي فارغةٌ نوعاً ما؟ فوظيفتي جيدة جداً، ولو لم يكن المدير راين بايلي لأحببت هذا العمل بكل جوارحي.

وما لبثت أن نهضت فجأةً، وغسلت الطبق الذي كانت تأكل منه. وفي الوقت عينه، راحت تؤنب نفسها: ألا تعرفين السبب؟ لأن راين طرح عدة مسائل لا تملكين الإجابة عليها. أتعيشين حقاً في برج عاجي من الثقافة والمعرفة يدفعك إلى الشعور بأنك أرفع مكانةً من الآخرين؟ هل تفتقدين إلى رجل في حياتك إلى درجةٍ يستطيع مجرد رجل من هذا النوع أن.. حسناً، لا يهم..؟ ولكن ما يحيرني أكثر من أي شيء آخر، هو معرفته تفاصيل العلاقتين العاطفيتين التي خضتهما، ثم انتهتا إلى كارثةٍ.

من غير الممكن طبعاً أن يعرف أدق التفاصيل عن هاتين العلاقتين، ولكن من الواضح أنه شك بشيءٍ ما.. وكأنه تسلل إلى قلبها واكتشف جرحها الذي لم يندمل بعد. لم ترتبط في كلتا المرتين إلاّ لأنها ظنت أنها واقعة في الحب. ولكن توقعاتها آلت دوماً إلى.. إلى ماذا؟

واستدارت مبتعدة عن المطبخ، لتمعن التفكير في الفرضية المذلة التي تقدم بها راين، حين أكد لها أنها لم تعرف أن تختار الرجل المناسب مرةً.

ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أنه البديل المناسب. فكيف باستطاعتي تحمله؟ فهو، من جهةٍ، متعجرفٌ ومحب للسيطرة.. ومن جهة أخرى، رجلٌ يفوق احتمالي.. ولا سبب آخر..

لاحقاً، تركت أفكارها ترتحل، كارهةً، لتحط عند ساندرا بايلي تلك المرأة التي لم تستطع أن تنسى حبها لراين، كما روى خالها.

ومن هنا، صمتت تماماً حين صادفتها في صباح اليوم التالي بالذات.

كانت أونور تعبر صالة الاستقبال في مؤسسة بايلي، عندما شاهدت امرأةً جميلة وجذابةً، حسنة المظهر بملابسَ أنيقةٍ وابتسامةٍ خجولة، تجتاز الباب الزجاجي وتتجه إلى موظفة الاستقبال. وما إن وقع نظرها عليها، حتى نهضت فوراً، وهتفت بعبارات تنم عن الاحترام الشديد: «صباح الخير، سيدة بايلي. كيف حالك؟ لقد طلب مني السيد بايلي أن أدخلك فور وصولك.. اهه، عذراً يا آنسة لينغارد، أشار إليّ السيد بايلي أيضاً أنه بانتظارك في مكتبه عند الساعة العاشرة».

تمهلت أونور قليلاً ثم سألت: «لماذا؟» وإذا بساندرا بايلي تستدير نحوها وتخاطبها بأدب: «أنت أونور لينغارد على ما أعتقد. لقد أخبرني خالي، براد أولدفيلد، عن لقائه بك. كيف حالك؟».

وبعد هنيهة قصيرة، تمكنت خلالها أونور من استرجاع رباطة جأشها، أجابت: «على أتم ما يرام، شكراً. لقد تمتعت كثيراً بصحبة خالك يا سيدة بايلي».

- إنه شخصية فريدةً من نوعها، أليس كذلك؟ والآن، أعذريني، من الأفضل ألا أترك راين ينتظر كثيراً. وداعاً.

تمتمت أونور وهي تحدق إلى ظهرها وتتذكر حكاية اجتماع النمور والتماسيح: «مع السلامة».

وفي العاشرة تماماً، وصلت أونور إلى مكتب سكرتيرة راين بابلي، وفيما هي تتحدث إلى بام، فتح باب المكتب ليكشف عن راين مرافقاً زوجته السابقة، وهو يقول لها: «ستعلمينني بمستجداتك، أليس كذلك؟».

ردت ساندرا وهي تبتسم له بنظرات ملؤها الحب: «نعم يا راين».

- تفضلي يا آنسة لينغارد، أظن أنك تعرفت إلى ساندرا؟

***

أغلقت أونور الباب، ثم بادرته بلهجةٍ عنيفةٍ: «ماذا تريد الآن؟».

كانت ترتدي بذلةً قصيرة الأكمام من الكتان الزهري اللون، وحذاء من جلد التمساح. وبدا أن صبرها قد نفذ.

رد عليها مستفهماً: «من الأفضل ربما أن تخبريني بماذا أخطأت الآن. إجلسي».

جلست والانزعاج بادٍ على وجهها ثم أجابت: «لم تفعل بعد، ولكني أنتظر منك أن تقدم على ذلك».

رفع حاجبه باستياء: «أيعود السبب إلى ساندرا؟».

- ماذا تعني بـ «ساندرا»؟ لا شأن لي بها في مطلق الأحوال. ولكن، بالحديث عنها، وإشباعاً لفضولي لا غير، لماذا تراها ما تزال واقعةً في حبك؟

- ليست. . .

- هيا، لا تراوغ معي الآن. هذا ما بدا عليها، أضف إلى أن خالها يظن ذلك. . .

قاطعها قائلاً: «أونور، هل أفهم من كلامك، أنك تطلبين مني شرحاً

مفصلاً عن حكاية زواجي من زوجتي السابقة؟ وإذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا؟».

فتلاقت نظراتها المكفهرة بنظراته اللاهبة، وما لبثت أن هتفت بغضب: «إنسَ هذا الموضوع، وأخبرني لماذا طلبت حضوري، عدا عن عرضي أمام زوجتك السابقة طبعاً!».

- ولماذا أقدم على مثل هذا التصرف؟

- لأنني أدرك تماماً أن تصرفاتك تتسم غالباً بالمكر وسوء النية.

قطب جبينه، ثم أرخى ذراعيه وقال: «أنت على حق، فأحياناً أتصرف على هذا النحو. ولكن ليس في هذه اللحظة، على أي حال، كما أنني لا أجد أي مغزى لعرضك أمام زوجتي السابقة. . .».

فضاقت عيناها وهي تراقبه من خلال أهدابها المنسدلة، وأطبقت شفتيها للحظاتٍ قليلة، قبل أن تهز كتفيها بلامبالاة، وتتمتم ببرودة: «إذاً، ما الموضوع الذي طلبتني من أجله؟».

- لقد تلقيت طلباً لرعاية مواهب رسام شاب، أو على الأقل، أفترض أنه شابٌ. نحن لم نلتقِ بعد، ولكنه أرسل لي لوحة بالبريد، مرفقةً برسالة خارجةٍ عن المألوف، يقترح فيها أن أعرض إحدى لوحاته، مؤكداً أن سيلاً من الطلبات سيتدفق لشرائها. وهو على استعداد لاقتسام الأرباح مناصفةً.

أما السبب الثاني، فيتعلق بالاتصال الذي تلقيته من محطة تلفزيونية أعربت عن رغبتها في تصوير حلقةٍ خاصةٍ بمجموعة الأعمال الفنية التي أملكها، هل تظنين أن الفكرة جيدة؟

ما إن أنهى حديثه حتى رفعت حاجبها وأجابت: «ولمَ لا؟ فمن شأن هذه الحلقة أن ترفع من منزلة مجموعتك الفنية، ألا توافقني الرأي؟».

بدا عليه التفكير العميق قبل أن يرد: «أوافق من ناحية المبدأ، رغم أنني أفضل تجنب الدعاية. ولكني أريد لهذا العمل أن ينفذ بطريقة سليمةٍ ولائقةٍ، ولهذا أرغب في أن تتأكدي من أن البرنامج سيعكس الصورة الحقيقية.

- أفهم من ذلك أنك تريد مني التأكيد أن يظهروك كرجلٍ مثقفٍ وذواقٍ للفنون.

أجابها وهو يمعن النظر بها: «نعم».

فاتسعت حدقتا عينيها وسألته: «ألا تشك في مقدرتي على القيام بهذه المهمة؟ ألا تخشى أن أسيء التصرف أو أبالغ بالأمر؟».

رد عليها بنبرةٍ جافة: «كلا!».

وإذا بها تجد في هذه الثقة الارتياح الذي افتقدته لأيام عدة، فقالت: «حسناً لنعد إلى اللوحة التي أرسلت لك في الصباح، هل هي جيدة؟».

فأجاب بتذمر: «باستطاعتك الحكم عليها بنفسك».

ثم عبر الغرفة كي يزيح الستارة وقد كانت تحجب لوحةً كبيرةً مستندةً إلى الجدار، وإذا بها تظهر امرأة شبه عارية، وهي تجثو في حديقة غنّاء.

ثم استأنف حديثه قائلاً: «أعلم أن ساندرا لا تستسيغ مثل هذه الأعمال، أما المسكينة بام، فكاد يغمى عليها من شدة الصدمة عندما كشفنا عن اللوحة، ولهذا ارتأيت... حجبها عن أعين الآخرين في الوقت الحاضر، باستثناء عينيك الخبيرتين، بالطبع».

فما كان منها إلا أن صرّت على أسنانها واقتربت من اللوحة ثم علّقت: «الآن فقط، أقول إنها اللوحة المثالية التي تناسب غرفة نومك».

ثم استطردت على عجلٍ قبل أن يقاطعها: «لهذه اللوحة قدرٌ من الجدارة الفنية على ما أظن، وهي بالتأكيد مليئةٌ بالحياة، ولكن لو كنت مكانك لما عرضتها هنا، إلا إذا كنت ترغب بمعاداة نصف موظفيك».

- هل تتكلمين بصفتك المهنية أم كامرأة؟

- أنا أتكلم بصفتي امرأة يا سيد بايلي. ويصادف أنني قرأت منذ عدة أيام خبراً نشرته الصحف، مفاده أن اللوحات التي تظهر أجزاء عاريةً من جسد المرأة تثير استنكار غالبية النساء العاملات.

- نعم، لقد قرأت هذا الخبر أيضاً. إذاً، أتفضلين أن أوصي هذا الشاب بتقديم لوحاته إلى أحد المعارض المتخصصة؟

فأجابته بلطف: «لا، بتاتاً، بل أترك لك حرية اتخاذ القرار المناسب وما من سببٍ يدعوك إلى عدم الاحتفاظ بها في بيتك أو على متن يختك إذا أعجبتك. بالمناسبة، ما اسم هذا الرسام؟».

- مارك مارخام.

- لم أسمع به قط من قبل.

- ولا أنا سمعت به أيضاً.

ثم أسدل راين الستارة فوق اللوحة وتابع قائلاً: «هذا كل ما أطلبه يا أونور، ستعطيك بام المعلومات والتفاصيل كلّها عن البرنامج التلفزيوني».

- عظيم، سأبدأ العمل على الفور.

كانت نبرتها تنم عن الابتهاج، ولكن لو أمعن فيها النظر أي شخص قوي الملاحظة، لأدرك أن عينيها تلمعان غضباً.

بعدئذٍ، انكبت أونور على الإعداد للبرنامج التلفزيوني، وقد عرفت من بام أن شهراً يفصلها عن بداية التصوير، ونفذت كل البنود حسب الجدول المطروح، إلا مسألة سيرة راين بايلي التي طلبتها المحطة. فقد تحولت إلى مشكلة بالنسبة إليها.

فمن جهةٍ، تجاهل براين الأمر برمته رغم مطالبتها المتكررة له. ومن جهةٍ أخرى كان المشرفون على تنفيذ البرنامج يلحون عليها بالسبرة، لأنهم لا يملكون إلا القليل من المعلومات عنه. فلطالما تفادى راين وسائل الإعلام طوال فترة ارتقائه نحو الثراء والشهرة.

وفي سياق أحد الأحاديث التي تبادلتها معهم على الهاتف، أخبرتهم أن والده كان عامل منجم ولكنها ما لبثت أن عضت على شفتها، وحاولت أن تستدرك زلة لسانها: «لكن هذه المعلومة خارجة عن الموضوع.. على أي حال سأزودكم بالمعلومات الأساسية عندما أعرف منه ما الذي يريد أن يُبث من سيرته».

فرد عليها الصوت من الطرف الآخر للهاتف: «آنسة ليتغارد، نربدك

أن تشاركي في البرنامج. ما رأيك؟ نحن نعرف الكثير عنك ونعتقد أن لظهورك على التلفزيون انعكاساتٍ رائعةً».

قطبت حاجبيها ثم ردت: «عليّ أن أستشير راين. لكنني سأعاود الاتصال بك حتماً ومعي المعلومات الشافية».

ـ بام، أين السيد بابلي؟

ـ أونور، إنه مشغول جداً الآن، ولا يملك وقتاً لأي مواعيد أخرى. أما عن المذكرات التي أرسلتها، فقد مررتها له بنفسي..

ـ اسمعي يا بام، أنا أحتاج لمقابلته! أنا لا أستطيع..

قاطعها صوت متكاسل من وراء ظهرها: «يا للعجب! ما هذا التغيير في المواقف يا آنسة لينغارد؟».

فاضطربت قليلاً وهي تتنفس بعمق، ثمّ استدارت لتواجه راين وهي تشدّ على شفتيها لتقول له بغطرسة: «أين كنت كل هذه المدة؟ لماذا طلبت مني أن أنظم هذا البرنامج عن الأعمال الفنية ثم تتصرف وكأنك غير موجود؟ إذا كنت تدير مؤسسة بابلي للإنشاءات بهذه الطريقة، أستغرب كونها لم تفلس منذ سنوات!».

فغرت بام فاها دهشةً، ثم ظهر على وجهها الاستياء، وكأنها لا تصدق ما سمعته لتوها. فلاحظ راين تعجبها، ثم لوى فمه بسخريةٍ قائلاً: «يبدو يا بام أن أونور امرأةٌ غير متصنعةٍ، وتتكلم على سجيتها، وهي في الوقت ذاته عاشقةٌ للفنون الجميلة، لديها أولويات أخرى على ما أظن. آه.. متى يحين موعد الاجتماع التالي؟».

ـ بعد ثلاثة أرباع الساعة يا سيد بابلي، ولكن مكان الاجتماع يقع في منطقة الشاطىء الذهبي، وأنت توشك على التأخر.. كما إن سيارتك قد وصلت.

ـ إذاً اتصلي بهم يا بام وأخبريهم أنني سأتأخر قليلاً.

ثم استدار نحو أونور وقال لها بلطف: «أردتِ البحث معي في أعمالٍ مستعجلةٍ، فعليك أن ترافقيني في رحلةٍ قصيرة على طريق الشاطىء».

اعترضت أونور: «ولكن من السخافة أن أتبع كل هذه المسافة لأكلمك.. ثم كيف أدبر عودتي؟».

رد عليها ببسمةٍ لطيفة: «سيوصلك وارن. أما أنا، فسأبيت هناك الليلة، وهذا هو عرضي النهائي».

رمقته بنظراتٍ متقدة، ثم قالت بحدة: «أف... حسناً!».

ثم اكتشفت أن وارن هو نفسه قبطان «ساندرا ـ لي»، كما أنه يعمل في الوقت عينه كسائق وبستاني. وبعد دقائق، وصلت سيارة رولز رويس فاخرةٌ، مقاعدها أشبه بمقصورةٍ مكسوةٍ بالجلد الأسود.

وهمس راين لها: «كما ترين، لن تكون مزعجة للغاية».

لكن أونور جلست على الطرف المقابل وهي تبتعد عنه قدر إمكانها، ثم أخرجت من حقيبة يدها دفتراً صغيراً وقلماً وقالت بسخرية: «أنا متأثرة يا سيد بابلي، بالأمس أقلتني سيارة لامبورغيني، والآن سيارة رولز رويس».

أجابها متلطفاً: «أميل إلى اعتبار هذه السيارة رمزاً لمؤسسة بابلي للإنشاءات. فهي أكثر راحةً لزبائننا، لا سيما أولئك الذين يأتون من الخارج.. وعلى كل حالٍ، أوافقك الرأي، فهي تعطي عني انطباعاً خاصاً. أما بالنسبة لسيارة اللامبورغيني، فأنا أعتبرها شكلاً من أشكال المتعة».

فعلّقت على كلامه: «فهمت. هل ترغب في أن أنقل ذلك عن لسانك على الهواء؟».

فعبس وأجاب: «انقلي هذا عن لساني».

وهنا، زمت شفتيها وجاهدت للمحافظة على رباطة جأشها، إلى أن قال: «هل ستمتنعين عن التحدث معي مجدداً؟».

ردت عليه بحدة: «كما ترى، فأنا أفعل ما بوسعي».

ـ إذاً، دعيني أساعدك، أسيقتصر الحديث على الموضوع الذي تتضمنه مذكراتك الشديدة اللهجة التي أرسلتها لي؟

وإذا بصوتٍ داخلي مألوف يتردد في نفسها: انتبهي يا أونور، لا تبتلعي هذا الطعم! ثم ردت عليه بهدوء: «إذا كانت مذكراتي شديدة اللهجة، فهذا لأني أتلقى بدوري طلباتٍ أشد لهجة من المشرفين على البرنامج، أملاً في أن أساعدهم على إنجاز الحلقة الوثائقية التي يعدونها».

ـ وما هي طلباتهم؟

ـ الحصول على سيرتك الذاتية.

ـ لا أرى مانعاً في ذلك.

تأملت المكان من حولها لبضع لحظات، لا سيّما حين انحرفت السيارة عن الطريق العام الشرقي الجنوبي، لتسلك درباً ساحلية، ثم قالت: «جيد... اسمعني، هل نستطيع أن نعدّ معاً تصميماً لسيرة ذاتيةٍ قصيرةٍ مقتضبة؟ حينها، على الأقل، تمنح الناس ما ترغب في أن يعرفوه عنك. وذلك، بدلاً من أن يقوم المسؤولون باختراع الأحداث بأنفسهم».

فرد عليها بتكاسل: «حسناً، ولكن أخبريني أولاً كيف أعددت باقي البرنامج؟».

أجابته بمنطقية: «ليس من حقي إعداده بالكامل، فهو بأي حال برنامجهم وليس برنامجي».

ـ ولكنك، لا شك، اقترحت عليهم بعض الأفكار.

ـ طبعاً، رغبت في تعريف المشاهدين بمجموعتك المتكاملة، ولهذا وضعت لائحةً تبدأ باللوحات المثيرة للاهتمام، واعتنيت، على وجه الخصوص، باللوحات القديمة، ثم انتقلت إلى اللوحات غير المألوفة أي التي تتضمن في رسوماتها حكاياتٍ عن أحداث أو عن الرسام، وسيتم التطرق إلى كيفية انتقالها بين يديك.

ـ أسيقوم المخرج ببث مقاطع عني وعنك، فيما نعلق على المعروضات؟

ـ نعم، ولكني سأكون مسرورةً جداً إذا أعفيتني من هذا الأمر.

أجابها وكأنه يتحدث إلى نفسه: «أعتقد أنه يجب أن نقدم النقيضين

في الأسلوب. أنت لروحية الفن، وأنا للمال».

ـ ظننت أنك لا ترغب في أن يأخذ البرنامج هذا المنحى.

ـ من المؤكد أنني لا أرغب في أن أظهر غبياً، ألا توافقيني يا أونور؟ ولهذا كلفتك بإعداده.. لأني أدرك أن خبرتك ستضيف المزيد من الخصوصية على مجموعتي. وفي الواقع أعتبرك ربحاً جيداً لاستثماراتي، يماثل الربح الذي سأجنيه بعد استثماري في لوحة سيسلي.

ـ لست متأكدة من أنني سآخذ كلامك على محمل الثناء..

ـ أوه، إنه كذلك.

حولت نظرها مرة أخرى إلى الطريق، فيما كانت السيارة تقطع الكيلومترات في صمت وهدوء. ثم استدارت إليه وقالت: «بالنسبة للوحة سيسلي...».

ـ لا.

طرفت بعينيها ورمقته بحيرة ثم قالت: «حسناً وماذا عن سيرة حياتك؟».

ـ أتفكرين في راين بايلي الذي بدأ حياته ابناً لعامل منجمٍ للفحم الحجري.. وإلى ما شابه ذلك من معلومات؟

فتقلصت عضلات وجهها واعترفت له بصراحة: «لقد سبق وأعطيتهم هذه المعلومة، بعد أن زل لساني في خضم الحديث».

نظر إليها وملامح وجهه تنم عن التلهي والمكر، ثم قال: «وهل زل لسانك الآن أيضاً؟ لا تهتمي. إنه ليس بسرٍ أحتفظ به. وهو لا يسبب لي الإحراج، ويمكنك استخدام هذه المعلومة كما تشائين».

ـ حسناً، ماذا تبقى لنا للبحث؟

ـ سأطلب من بام أن تحضر لك بعض المعلومات وتطبعها...

فقاطعته وقد بدا الانزعاج على وجهها: «لا، لا، اسمع.. لقد جرّبت هذه الطريقة قبلاً. بالمناسبة وبما أننا أتينا على ذكر الطرق، لماذا تكبدت هذه الرحلة الطويلة المملة إلى الشاطىء الذهبي.. أمن أجل لا شي؟».

www.elromancia.com

ـ ليست رحلةً طويلة، بل أوشكنا على الوصول. أما عن الملل، فقد وجدتها ممتعة للغاية، وهكذا..

ـ ولكنك، مع ذلك، لست مضطراً للعودة أدراجك فوراً!

وتمهلت في المتابعة ثم أضافت: «سيد بايلي.. سأقوم بوضع مسودة تتضمن الخطوط العريضة فقط، وستتضمن قصة نجاح مؤسسة بايلي للإنشاءات، على ما أظن. فإذا لم تعجبهم، فليمزقوها ويرموها، أما إذا لم تنل إعجابك، فاطردني أو إذهب إلى الجحيم.. أو افعل الأمرين معاً».

ـ هذا يناسبني تماماً، يا أونور.

ـ لماذا لم تقل لي ذلك في البداية؟

فقال متذمراً، فيما كانت السيارة تلج فندق شيراتون ميراج: «من الممتع دائماً أن أراك تثورين غضباً يا أونور، فأنت تصبحين جذابة جداً، عندما تكونين على هذه الحالة».

ثم سكت قليلاً قبل أن يتابع: «أود فعلاً أن أدعوك إلى العشاء كي أنسيك مشقة هذه الرحلة الطويلة والمملة، ولكن لسوء الحظ..».

ـ إنسَ هذا الأمر.

أشاحت بوجهها عنه، كدليل على الحزم، ثم نظرت من خلال النافذة، ولكنها استدارت فجأةً بعد لحظة وقالت: «وكف عن وضع المزيد من الخطط التي لا فائدة منها».

ـ لقد عقدتِ لساني يا أونور، لكنني سأحاول عند عودتي، أن أكون رب عمل جيد وحسب.

ـ مكانك لما حاولت كثيراً.

كانت بام قد كشفت لها، عن كرم راين وتقديماته السخية للجمعيات الخيرية. ولكن أونور لم تتأثر البتة ولم تغير رأيها في راين كثيراً، بل اكتفت بقول: «ما أهمية ذلك؟ ولمَ لا يقدم عليه؟».

بدا على وجه بام الوجوم والاستياء وقالت: «أنا أعرف أنه يحب أن يحافظ على خصوصياته، ولكن من المؤسف ألاّ يعرف الكثير من الناس

أي نوع من الرجال هو».

نظرت أونور إلى بام بغيظ، ثم تنهدت وهي تلاحظ هذا الإخلاص المؤثر الذي بدا في عيني هذه الفتاة وردت: «بام.. لا أستطيع أن أفعل ذلك من دون موافقته، وأنا أشك في أن يوافق».

ـ أنا لا أعتقد أنه.. أوه. حسناً، لم تكن تلك إلا مجرد فكرة طرأت على بالي. هل.. هل تسير الأمور بينكما على نحو أفضل الآن يا أونور؟

فكرت قبل أن تختار الإجابة المثلى، ولكنها وجدت نفسها تقول بخشونة: «لو أنه يكتفي بشؤون العمل، لكان كل شيء على ما يرام».

ردت عليها بام: «أنا متأكدة من أنه سيفعل ذلك».

وكان هذا ما أقدم عليه فعلاً في غضون الأسبوعين اللاحقين. وصدقت توقعات بام. أما أونور، فأضنتها الحيرة وتملكها الذعر، لا سيما حين اكتشفت أن تصرفاته الجديدة لاتزيدها إلا انزعاجاً.

* * *

٣ ـ إجازةٌ غير عادية

ـ هل يمكنني دعوتك لتناول القهوة؟

ـ شكراً يا سيد بايلي، ولكن...

رد عليها راين بخشونة: «أوه، كفي عن ذلك يا أونور، واقبلي دعوتي. فمنذ بضعة أسابيع ونحن نتصرف كما يتصرف القط والفأر».

في هذا الوقت، كان فريق التصوير التلفزيوني يعيد ترتيب آلات التصوير وبقية الأغراض، ويستعد للمغادرة.

فأمسك بذراعها وجذبها نحو مكتبه، فيما فكرت بمرارة أن هذا المنظر سيبهج، من دون شك، موظفي مؤسسة بايلي للإنشاءات.

ولمّا أصبحا داخل مكتبه، تهالكت على المقعد الجلدي نفسه الذي جلست عليه خلال السجال الذي دار بين راين وموظفيه.

وفيما كان يناولها فنجاناً، تلاقت أعينهما، فيما انتفت لغة الكلام لبرهةٍ، مما دفعه إلى العبوس بخبث. وأخيراً، جلس على مقعدٍ جلدي آخر يواجه مقعدها تماماً.

بادر راين بالكلام: «لا أستطيع أن أستنتج أيهما يزعجك أكثر، أن أعاملك كموظفةٍ مثل بقية الموظفين، أو ألا أعاملك كموظفة».

ثم رفع فنجانه في نخب هزلي وقال: «في صحتك!».

فردت عليه: «حسناً، أعتقد أنك تزعجني نحسب، لا أكثر ولا أقل..!».

فأجاب وهو يشد على مخارج الحروف: «لقد ذكرت ذلك قبلاً..

ولكن لماذا تستمرين بالعمل لحسابي يا أونور؟».

ـ وسبق أن أخبرتك أيضاً، أنني عندما أقارن بين سلبيات العمل وإيجابياته، أفاجأ بترجيح كفة الإيجابيات دائماً.

ثم وضعت فنجانها على الطاولة الصغيرة، وأضافت: «ومن ضمن هذه الإيجابيات، أن صبري قد ذاع قليلاً اليوم».

راقبها بضع لحظات ثم قال: «لقد أديت واجبك بشكل حسن».

فردت عليه صادقة: «ينطبق هذا الكلام عليك أيضاً».

فرد عليها وهو يمعن النظر فيها: «إذاً، ألا تظنين أن بإمكاننا أن نستثمر هذا الإعجاب المتبادل في ربحٍ نافعٍ؟».

ـ مثل ماذا؟

ـ كأن نحاول الاسترخاء حين نكون معاً، في سبيل التغيير ليس إلاّ.

فرفعت رأسها إلى الوراء وقالت بشموخ: «لا».

هنا، رد بهدوء: «ما الذي تخشينه يا أونور؟ أتخشين من نفسك؟».

فأجابته معترضة: «أوه، مللت من ترداد معزوفتك القديمة نفسها».

ـ لكن المعزوفات القديمة غالباً ما تكون هي الصحيحة.

ترى، هل باستطاعته أن ينفذ ببصيرته إلى داخلها، ويكتشف الارتباك الكامن خلف هذا الرفض القاطع، ذلك الارتباك الذي تنامى في داخلها على مدى الأسابيع القليلة الماضية وهي تحاول متعمدة أن تفصلهما المسافات؟ وسرعان ما تفاقم انزعاجها عندما أدركت أن ابتعاده عنها، هو الآخر، ساهم في مضاعفة ارتباكها، منذ رحلتهما إلى الشاطىء الذهبي. فاستحالت علاقتهما علاقة رئيس بمرؤوس، رسميةً وباردةً.

فراحت تردد على نفسها: «أنا لا أحب هذا الرجل. من يظن نفسه، على أي حال؟».

ولكن، خيّل إليها أن كلمات الدنيا بأسرها لن تنجح في صرف تصرفاته اللاعقلانية عن تفكيرها، فهي، رغم أنها لا تكنّ له أي محبة، لا تنفك تفكّر فيه. إلا أن هذا لا يدعو إلى الاسغراب، فكل نساء الشركة

يعانيان من المشكلة ذاتها. وباختصار، إن راين بايلي رجل جذاب بصورة تدعو إلى الحذر.

وما لبثت أن سرت فيها قشعريرة خفيفة لم يكن الاشمئزاز لها سبباً. وعرفت أنه رجلٌ خطرٌ، يستطيع أن يقوّض جبل مقاومتك ببضع كلمات. كما أنه ذكي جداً وذو هيبة، قوي وضخم، ووسيم بشكل رائع... ولكن ماذا عن النساء الأخريات اللواتي تحفل بهن حياته؟

وفجأة رفعت بصرها، وإذا به يتفحصها بتأمل، بدا وكأنه لا يغفل عن خصلات شعرها المتدلية على جبينها، أو النمش الذي يغطي بشرتها وفمها وأنفها، هذا إلى ما يظهر من عنقها تحت السترة السوداء، والقميص الأبيض المزين بالأزهار، وقد علا تنورةً سوداء.

فما كان منها إلا أن لعقت شفتيها وشرعت تبحث عن كلامٍ ما، أي كلمةٍ تبعد عنها هذه الأفكار. وإذا برنين الهاتف ينقذ الموقف.

فقال بتكاسل: «اهه، إنها على الأرجح المخابرة التي أنتظرها من يورك مورسباي، وهي تتعلق بجسر البابواي، ويمكن أن تستغرق وقتاً طويلاً. ولكن على أي حال، يمكنك أن تنهي قهوتك قبل أن تذهبي».

ومع أنها لم تفصح عن تفكيرها، إلا أن عينيها عبّرتا عنه بشكل واضح: أيها الحقير.

ثم نهضت من مكانها ببساطةٍ، وغادرت المكتب من دون أن تلقي نظرةً إلى الوراء.

في الأيام القليلة التي تلت، ظلّ الغضب يعتمل داخل أونور. وعندما أثر ذلك على رياضة التنس التي باتت تمارسها بتهورٍ وعدم تركيز، كرّست وقتها لتحسين أدائها، ولكن محاولاتها جميعها باءت بالفشل، وعجزت عن إقناع نفسها بترك العمل عند راين بايلي.

وفي عصر يوم سبت، حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد قرع الجرس، ولمّا فتحت الباب، وجدت أمامها الشاب المفتول العضلات بشعره الأحمر، ولحيته الداكنة، الذي رأته يتسكع على الرصيف خارج

منزل راين منذ عدة أسابيع.

فخاطبها باحترام: «هل أنت الآنسة لينغارد؟».

ـ نعم..

ـ آنسة لينغارد، أنا مارك مارخام، كيف حالك؟

فاتسعت عيناها: «أنت تعني...».

ـ نعم، أنا الذي رسمت لوحة المرأة في الحديقة، هل رأيتها؟

ـ أنا.. نعم، في الواقع، ولكن..

ـ ما رأيك بها، يا آنسة لينغارد؟

فأجابته بتكاسل: «حسناً، أعتقد أنها تستحق الاهتمام».

فهتف بتحسر، إنما بلهجةٍ ساخرة: «آنسة لينغارد، هل تسمحين لي أن أطلب منك خدمة كبيرة. لقد نظمت معرضاً صغيراً للوحاتي، في مرآبٍ قديم للزوارق. وقمت بدعوة عددٍ قليلٍ من الأصدقاء صباح الغد، فهلاّ حضرت وألقيت نظرةً على اللوحات؟ أرجوك؟».

ـ حسناً، سيد مارخام، كيف عرفت من أكون؟ وكيف حصلت على عنواني؟

فأجابها ببراءة: «لقد شاهدتك في التلفزيون، وبحثت عن عنوانك في دليل الهاتف».

فأجابته بعبوس، لأنها تذكرت شعور الانزعاج الذي استولى عليها عندما شاهدت نفسها إلى جانب راين في التلفزيون: «هل أعاد اللوحة إليك؟».

ارتسمت على وجه مارك ابتسامةٌ طفوليةٌ وأجابها: «نعم لقد أعادها إلي، ولكني إنسان متفائل، وإذا كانت لوحة المرأة، لا تعجبك، فمن اللوحات ما يغطي المواضيع كافة».

فكرت قليلاً ثم ابتسمت: «حسناً، أعطني العنوان. ولكني ألفت انتباهك إلى أني لا أستطيع أن أعدك بحضور السيد بايلي أو أي وعدٍ».

فقدم لها دعوةً مكتوبة بخط اليد، وشكرها بحفاوة. أما هي، فلم

www.elromancia.com

يخطر ببالها أن تفكر في ما كان يفعله خارج منزل بايلي في ذلك اليوم، إلا بعد أن رحل. ولكنها سرعان ما نسيت هذا الأمر بعد لحظات.

تميز اليوم التالي، بالحرارة والرطوبة. فاختارت أونور بنطلوناً رمادي اللون فضفاضاً، وبلوزة حريرية طويلة الأكمام، من اللون المشمشي الباهت، أضف إلى صندل من الكانفا البيضاء، وقبعةٍ من اللون المشمشي والأبيض مزينةً بالأزهار.

ثم أخذت مضرب التنس، بالإضافة إلى حقيبة تحتوي كل معدّات هذه الرياضة. ورغم حرارة الطقس المتزايدة، قررت أن تذهب إلى النادي، بعد حضور معرض مارك مارخام، وقد عقدت العزم على أن تبرهن أن اللاعبة النجمة لم تفقد قدراتها بعد.

بعدئذٍ، انطلقت بحثاً عن مرآب الزوارق، حيث يقيم مارك مارخام، وهي تشعر بمزيج من الارتياح والبهجة لم تختبره منذ زمن. وأخيراً، عثرت على بناءٍ منزوٍ بين موقف سيارات قديم وحوضٍ لبناء المراكب. وإذا بمارك يخرج من منزله ليستقبلها، ثم يقودها إلى موقع مظللٍ وساعدها على النزول من السيارة بكل تهذيب، ثم أشار إليها برفع سقف سيارتها.

فاستجابت أونور وقد اكتفت بالقول: «حسناً، لكنني لن أبقى طويلاً».

فرد عليها برزانة: «اهه، لا يستطيع أحد التكهن بذلك أبداً، لا سيما إن كان في ذلك المكان. ومن الأفضل أن تأتي بحقيبتك ومضرب التنس أيضاً، في حال حدث ما ليس في الحسبان».

فهزت كتفيها ونظرت حولها ثم نفذت ما طلبه منها تماماً.

وولجت داخل المرآب، لتشاهد أروقة تحيط بميناء الزوارق الأسمنتي حيث استقر زورق صغير وقديم. أما لوحاته، فمعروضةٌ بكل ألوانها الشامخة على الجدران الخشبية. وإلى جانبها، رأت طاولةً مغطاةً بشرشفٍ أبيض، وضع عليها زجاجات عصير وعدد من الكؤوس. إزاء كل ذلك، لم يكن باستطاعة أونور إلا أن تشعر بالإعجاب الشديد لهذا الإعداد

المنظم، ولمهارات مارك مارخام الفنية، لا سيما أن عمره لا يتجاوز الأربع وعشرين سنة على الأكثر، كما قدرت.

في غضون ذلك، لم تلاحظ أنها الضيف الوحيد، إلا بعد أن شربت نصف كأس العصير الذي قدمه لها، وأبدت رأيها في بضع لوحات. كما أعربت عن إعجابها بأفضلها، أي تلك التي تتضمن رسوماتٍ للزوارق والمناظر البحرية. وحين أبدت استغرابها من خلو المكان، أجابها أن الآخرين سيصلون قريباً من دون شك.

ولكن، ما إن انقضت دقيقتان، حتى بدأ ينتابها شعورٌ غريب، وترنحت في وقفتها، ثم استدارت نحوه بنظرة ارتياب، واتسعت حدقتا عينيها من الخوف وباتت عاجزة عن الكلام. وما لبثت أن شعرت به يمسك بها، وهي على وشك الوقوع، ثم سمعته يقول بصدق قبل أن تفقد وعيها: «أنا آسف جداً يا آنسة لينغارد، وأرجوك ألا تقلقي. ولكن أحياناً على الإنسان أن يقوم بهذه الأعمال في سبيل فنه».

وبعد فترة، عادت أونور إلى وعيها تدريجياً، وأحست وكأنما المركب يخوض غمار البحر. ولكن شتان ما بين هذه الصدمة، وتلك التي فاجأتها بعد لحظات فأغمضت عينيها وهي تظن أنها تحت تأثير الهذيان.

فقد بدا لها، في واقع الأمر، أنها تبحر على متن «ساندرا ـ لي».

ولكن عندما فتحت عينيها ثانية، زال عنها كل شك، وألفت نفسها مستلقيةً على الأريكة الرمادية والعاجية اللون، وإلى جانبها المصباح نفسه، ذو القاعدة الرخامية والقماش الأخضر..

فما كان منها إلا أن انتفضت جالسةً، فيما رأسها يدور بشدة. وفجأة، ارتعدت أوصالها عندما سمعت صوتاً مألوفاً: «هوّني عليك، يا أونور»

ـ أنت!

وفغرت فاها ما إن استقرت نظراتها على راين بايلي جالساً على الأرض ومشدوداً إلى عامود، فيما ساقاه الطويلتان ممدودتان أمامه ولاحظت أن شعره مشعث على غير عادة فيما قميصه الأصفر متشح

بالأوساخ

فصرخت به بنبرةٍ تشبه فحيح الأفعى: «كيف تجرؤ على فعل ذلك؟».

ثم أنزلت ساقيها نحو الأرض في محاولةٍ للوقوف، ولكنها سرعان ما عدلت عن ذلك عندما انحرف المركب وتمايل بصورةٍ تنذر بالخطر.

أجابها وهو يعبس: «لم أفعل بك أي شيء، وفي الحقيقة يداي مقيدتان إلى هذا العمود، كما ترين».

جحظت عينا أونور عندما أدركت حقيقة كلامه. إذ بدا عاجزاً عن الحركة، ومقيد اليدين. وكان اللوم أول ما خطر على بالها: «هل أنت مجنون؟ من الذي يقود هذا المركب اللعين، إذاً؟».

ثم حاولت أن تقف ثانية، ولكنها ترنحت من جانبٍ إلى آخر فقالت: «والآن اسمعني».

ولكنه ضحك بخفة وقاطعها: «كنت أتساءل متى ستنطقين بهذه العبارة الشهيرة. أونور، أتعتقدين حقاً أنني قد أقيد نفسي إلى عمود؟ ولماذا؟ أمن أجل الالتماس معك في عواطف جنونيةٍ وخارجة عن المألوف؟».

فتورد وجهها بصورة جلية، مما ضاعف غضبها: «إذاً لماذا سمحت بتقييدك؟ ما الذي يحدث هنا؟».

- لقد تعرضنا للخطف.

فهتفت باندهاش وحيرة: «اختطفنا؟».

- نعم، اختطفنا.

- لماذا؟ ومن أقدم على ذلك.. هل تقصد أنه مارك مارخام؟

- ومن غيره؟

ثم سألها بتهذيب: «كيف وصلت إلى هنا؟».

فتمتمت أونور بعصبية: «ليت هذا المركب يسكن ويستقر».

- نحن في خضم عاصفة هوجاء!

فسألته وقد شحب وجهها: «أين؟».

- في خليج مورتون.

- أنت تمزح!

- كلا، ولكن يبدو أنه يمسك بزمام المركب جيداً كما أنه يقوده بمهارة. كيف وصلت إلى هنا يا أونور؟

ابتلعت ريقها وأخبرته حكايتها: «لا شك أنه دس مخدراً في كأس الشراب الذي قدمه لي. ثم حملني بعد أن فقدت الوعي على زورقه القديم وجاء بي إلى هنا. لا عجب أنه طلب مني أن أقفل سيارتي بعد أن أخرج أغراضي منها...».

وعجزت عن متابعة الكلام، لا سيما حين وقعت عيناها على مضرب التنس وحقيبة ملابسها.

- وأنا الذي كنت أتساءل لماذا أتيت مجهزةً للعب التنس.

- لم أكن. أعني.. كنت أنوي أن ألعب التنس بعد ذلك. لكن، بعد كل ما أقدم عليه من خداع!

ثم سألته في ضعف: «حسناً.. ماذا عنك؟ كيف وصلت إلى هنا؟».

- قررت أن أرتاح من العمل لبعض الوقت، فأبحرت بالمركب إلى الخليج لأمضي الوقت في صيد السمك. ومنذ ليلتين، تسلل إلى المركب فيما كان يرسو في ميناء شاطىء سانت هيلينا. وبينما كنت نائماً، ضربني على رأسي وقيدني، وأنا على هذه الحالة، منذ ذلك الحين.

اتسعت حدقتاها وهي تشاهد للمرة الأولى الكدمة على صدغه، ثم قالت: «إن عنفه إذن يماثل جنونه!».

رد عليها راين متمتماً: «ليس كثيراً، لقد أغدق علي اعتذاراته وقال لي إنه يفعل ذلك في سبيل فنه وحسب...».

- هذا ما قاله لي، لكن.. ما السبب الذي دفعه إلى اختطافك بالضبط؟

- هو لا يعدها عملية اختطاف، بل يتحدث وكأنه السبيل الأوحد للوصول إليّ. وهو يطلب أن أدفع له مئة ألف دولار ثمن لوحاته كلّها،

www.elromancia.com

مقابل أن يطلق سراحي من دون أن يُلحق بي أي أذى. يبدو أنه واثق تماماً من قدرته على إقناعي بكلامه.. كما يظهر أن مسألة القبض عليه فوراً بتهمة الاختطاف لم تخطر بباله.

توسلت أونور إليه: «بحق السماء لا تلفت انتباهه لهذا الأمر. ولكن لماذا اختطفني؟».

فأصلح من جلسته وقال بنبرة تدل على اشمئزازه من نفسه: «قد أكون المسؤول عن ذلك».

- ماذا تعني بذلك؟

- لقد أخبرته أنني لا أشتري أي لوحة قبل استشارة القيّم على أعمالي الفنية.

- ألم تستطع أن تجد غير هذه الكذبة! لا شك أن تبادل أطراف الحديث قد امتد لدرجة إعطائه اسمي أيضاً!

- كلا، كما أنني تحاشيت بدقة أن أخبره بأنّ القيّم هو امرأة. ولكن لم آخذ بالحسبان الـ...

قاطعته بتذمر: «البرنامج التلفزيوني! أحياناً، لا أستطيع أن أصدق مدى غبائك».

فرد باستهزاء: «إذاً من الأفضل أن تبدأي بتصديق ما يحدث يا أونور. وفي الوقت نفسه، هل تمانعين في التفكير في وسيلةٍ تفكين بها هذه القيود اللعينة عني؟ ما نحتاج إليه هو مقصّ حديدي أو منشار معدني...».

ردت عليه بضعف فيما كان المركب يترنح ذات اليمين واليسار، ولمعان البرق يضيء الغرفة بأكملها: «منشار معدني؟ قد أقطع ذراعك في ظروفٍ كهذه! لمَ لا تدفع له وتنتهي؟ أنت تملك الكثير من المال!».

ثم تلفتت حولها بجنون واستدركت: «وأين هذا اللعين، على أي حال؟».

ردّ عليها حاسماً الموضوع: «إنه يقود المركب من دفة البرج. وبالمناسبة، أنا لم أخضع يوماً للابتزاز طوال حياتي وليس في نيتي أن أبدأ

الآن. فتمالكي نفسك يا أونور».

فصرخت فيه ثم نهضت أخيراً على قدميها. وإذا بنظرها يقع على مشهد من النافذة، كاد يوقعها ثانية: بحر عاصف وأمطار غزيرة وزورق مارك مارخام الصغير يطفو ويغوص وقد ألحق بـ«ساندرا - لي» من الخلف.

التفتت نحو راين وقالت: «علينا بجهاز إرسال.. من المؤكد أنك تملك جهاز إرسال في المركب.. سوف أطلب النجدة!».

ثم اتجهت إلى الجانب الأيسر من الحجرة، حيث يقع مركز القيادة السفلي بأجهزته المصطفة ودفته الفولاذية الكبيرة.

- لا تتعبي نفسك، لم يبقَ فيه جهازاً سليماً واحداً.

فتنفست أونور بعمق وغضب وقالت: «وأنا التي اعتقدت أنه شاب لطيف وفاتن للغاية، أنا..».

فرد بصورةٍ عشوائية: «إنه يتصرف بجنون دجاجة مذبوحة».

- ولكنك قلت...

- نعم، ولكن من يستطيع أن يتكهن إلى أي مدى سيستمر في أفعاله؟ أخبريني، ما مقدار الثبات العقلي الذي تتوقعينه من رجلٍ استدرجك إلى فخ فخدرك ثم جلبك إلى هنا يا أونور؟ ورغم أنه يبدو خبيراً جداً في قيادة المَراكب، إلا أن الأحوال الجوية لا تبشر بالخير وأنا.

فعضت على شفتها وقاطعته: «أنت على حق، أخبرني أين أجد العدة التي تحتاجها؟».

شرح لها كيفية الوصول إلى غرفة المحركات، ثم دلها على مكان صندوق العدة. لكن، اتضح لها أن المهمة تنطوي على تجربةٍ مخيفة. فغرفة المحركات مليئة بالبخار، وهي تصدر ضجيجاً عالياً وحرارة فظيعة. كما أنها تقع في جوف مركب ساندرا - لي، الذي بات الآن يتمايل بشدة، مما اضطر أونور إلى الزحف حتى تصل إلى العدة. ومن ثم، جرت نفسها، إلى غرفة الحمام، للتقيؤ، بعد أن أصيبت بدوار بحر مريع.

ولمّا تمكنت من العودة إلى جانب راين أخيراً، كانت شاحبة اللون، وصفراء كالأموات. ولكنها، على الأقل، استطاعت أن تعبّ الهواء المنعش الذي يهب إلى الداخل من باب الحجرة المفتوح على المتن الخلفي قبل أن تتمتم:

ـ لم أجد منشاراً معدنياً بل قاطعةً حديدية كبيرة جداً، يتعذر حملها.. ولكني جلبت.. هذا المبرد.

أجابها باختصار: «أنت فتاة ذكية، هيا إلى العمل».

وهكذا، أخذت تبرد القيود الحديدية، وهي جاثيةٌ خلفه على ركبتيها، وبعد مرور خمس دقائق سمعته يحثها: «إنه آتٍ إلينا، لا تدعيه يراك...».

فأصابها الهلع، وما كان منها إلا أن جلست على المبرد لإخفائه. ولم تستطع أن تفكر بحجةٍ تفسر فيها لمارك سبب جلوسها على الأرض إلى جانب راين بهذه الطريقة.. فأقدمت على أول ما راود ذهنها. ولفت ذراعيها حوله وهي تسند رأسها إلى كتفه بهيام. وهنا ظهر مارك مارخام عند الباب، بعد أن نزل السلم من برج المراقبة وسدّ الباب بقامته العريضة. كان شعره ولحيته مبتلّين فيما عيناه الزرقاوان تلمعان بضياء غريب.

ـ لقد أتيت لأتفقد حالكما ليس إلاّ. أما الآن، فأتساءل إن كانت علاقتكما تتعدّى علاقة هاوٍ بجمع الأعمال الفنية مع القيّمة عليها! بالمناسبة، أنا آسف بشأن سوء الأحوال الجوية، ولكن كما تريان، أستطيع التحكم بزمام الأمور جيداً. ومع أني غير متأكد مئة بالمئة من موقعنا، إلا أنني سأوصلكما إلى المكان المقصود. لا تخافا إطلاقاً!

ثم أنهى حديثه، واختفى متسلقاً السلم إلى البرج.

أطلقت أونور تنهيدة، وقالت: «ترى إلى أين يوصلنا؟».

أجابها راين بضيق: «من يدري؟ ورغم أنني معجبٌ بوضعك هذا يا أونور، ولكن، كلما عجلت بتحريري، كلما كان ذلك أفضل».

فوثبت مبتعدةً عنه وكأن ناراً أحرقتها، ثم عاودت برد القيود. إلا

أنها، في اللحظة نفسها التي قضت فيها على الحلقة الأولى، وقبل أن تطلق صيحة النصر، شعرت بخبطة قوية إثر ارتطام رأسها بالعمود، فوقعت مغشياً عليها.

لم تعرف كم من الوقت انقضى وهي فاقدة الوعي، ولكنها في النتيجة استعادت وعيها وفتحت عينيها ففاجأها الظلام المخيم خارج الغرفة، والضوء الخافت داخلها، ثم همست من شفتيها المبللتين: «أين أنا؟ أين...؟».

أجابها راين بهدوء: «لا بأس عليك يا أونور، أنت على ما يرام، لقد ارتطم رأسك بالعمود، وهذا كل ما في الأمر».

ـ كل.. كل..!

وبعد أن استرجعت الأحداث في ذهنها، حاولت الجلوس، ولكنها أحست أن الدنيا تدور بها، وبدا لها أنها واقعة بين ذراعي راين، أو تل مستغرقةً في أحضانه.

فتمتمت بخوف: «ما الذي يحدث؟».

فطمأنها قائلاً: «استلقي ثانيةً، فسيلازمك الدوار لبعض الوقت».

أذعنت لأمره فيما استطرد هو قائلاً: «أما، عما يحدث، فقد جنح صديقنا المجنون بالمركب إلى شاطىء.. لا تجزعي».

وحالما سمعته يقول ذلك، شعرت بأن «ساندرا ـ لي» تطفو ثم تغوص بإيقاع منتظم، كما تنبهت إلى صمت المحركات الذي كشف عن عويل الرياح، ودوي الرعد، إلى انهمار الأمطار الغزيرة.

ـ كما أنه تركنا للأقدار، ولكننا لسنا في خطر داهم.

ـ ولماذا رحل عنا؟

ـ لا أدري هل بعثت فيه الصدمة القليل من التعقل، أم أنها زادت من جنونه، ولكنه ركب زورقه الصغير وأبحر به فاراً.

فردت عليه: «إذاً، نحن محتجزين على الشاطىء؟ جنح المركب إلى جزيرة فعلاً؟».

أجابها بهدوء: «تماماً. لقد استطلعت المكان عندما كنت غائبة عن الوعي، فقد خشيت أن نكون على إحدى الضفاف الرملية، ولكني وجدتنا على شاطىء، ولذا نحن في أمان في الوقت الحاضر».

ـ هل تعرف أي جزيرة هذه؟

ـ كلا.

وتوترت أعصاب أونور.

فقال لها: «اسمعي، حالما تهدأ العاصفة، قد أتمكن من تحديد موقعنا. فأنا أعرف جغرافياً هذا الخليج جيداً. وعلى أي حال، سوف يكتشفون مكاننا حالما يصحو الطقس. وحتى ذلك الوقت، ما زلنا نملك الكثير من الطعام والشراب. ولكن المركب قد يخرق أو ينقلب، لذا من الأفضل أن نحاول الانتقال إلى الشاطىء. فمن يدري؟ قد يكون جسم المركب مثقوباً».

فعلقت، وقد سالت الدموع فجأة من عينيها: «يا لسوء حظ هذا المركب!».

ـ نعم، أعرف ذلك، ولكنه مؤمّن عليه.

ـ هل سيفتقدك أحد في الوقت الحالي؟

مضى وقتٌ غير قصير، قبل أن يجيب على سؤالها: «لا، إلا في حال وقعت أزمة طارئة في العمل..».

فاستقامت في جلستها بحماس: «ولكن كيف سيتمكنون من الاتصال بك على أي حال؟ أعني، ماذا عن جهاز الإرسال؟».

ـ هذا في ما مضى! كان لدي في المركب عدة أجهزة إرسال والتقاط، بالإضافة إلى هاتفٍ بحري وهاتف خليوي. ولكن مارخام تكفل بها كلها.

ولمّا انهارت ثانيةً، طوقها بذراعيه: «إذاً، هو يملك فرصةً للنجاة، أما نحن فلا».

ثم همست وهي ترتعش: «هل نظرت إلى عينيه مرة؟ كيف خُدعت بهما إلى هذه الدرجة؟».

ـ على الأرجح، هذا طبيعيٌ في معظم الأحيان.

ـ حتى أنني أعجبت ببعض لوحاته، وعلى الأخص، تلك التي تتضمن مناظر بحرية.

وتابعت: «وماذا نفعل الآن؟ إسمع، عندي فكرة عظيمة! هل لديك قارب مطاطي؟».

ـ كان عندي.

ـ لا تقل لي إنه سرق هذا أيضاً!

ـ لقد استخدمه ليصل إلى زورقه، بعد أن انقطع الحبل الذي يربطه بساندرا ـ لي.

فردت بحدة: «إذاً، هو تائه في مكان ما من هذا البحر الهائج لكنه يستحق الغرق جزاءً على ما فعله بنا».

ـ هم.. م.م.. كيف تشعرين الآن؟

فأجابته وهي تتحسس رأسها بحذر: «على ما يرام. وأنت كيف حالك؟».

ـ أعاني من ورم في رأسي أيضاً.

فسألته وقد جحظت عيناها: «هل ضربك على رأسك ثانية؟».

فأجابها بمرارة: «ليس تماماً، ولكني تهالكت حين أنهكني التعب فتركت مارخام يتقدمني بخطوةٍ ويغادر المركب بالقارب المطاطي».

فمنحته أونور، رغماً عنها، ابتسامةً ملؤها الحنان.

فسألها، وهو يرفع حاجبه: «ماذا يفترض أن أفهم من هذه الابتسامة؟».

ـ لا أعرف، لكنك بدوت لي أشبه بإنسانٍ حقاً.

فرد عليها بوقار: «شكراً».

وفجأةً، دوى صوتٌ قويّ، وإذا «بساندرا لي» تجنح، فتصطدم بالصخور، فيما الرياح من حولهما تشتد، والطقس ينذر بعاصفةٍ رهيبة.

ـ أونور، أعتقد أنه يجب أن نغادر المركب. ولكن سأذهب أولاً

وألقي نظرةً عليه. هل تستطيعين، في هذه الأثناء، أن تجمعي كل الأغراض الضرورية التي سنأخذها معنا إلى الشاطىء؟

فتحت فمها لتعترض، ولكنه حدق فيها بنظراتٍ هدّأت من روعها، فاستطاعت أخيراً أن تتمتم بهدوء: «حسناً، سأفعل!».

ولمّا عاد راين من مهمته الاستطلاعية، حمل من الأخبار ما لا يسرهما.

لقد اكتشف ثقباً في جسم المركب عند المقدمة. وبما أن المد يرتفع، فسيقوم بإغراق ساندرا ـ لي.

ـ ولهذا سنأخذ ما خفّ حمله، من الطعام والشراب. أونور، إفهمي، نحن لا نملك غير ساعتين. لكنني وجدت ملاذاً على مقربةٍ من الشاطىء يمكن أن نلجأ إليه.

فسألته وهي تشعر بالخوف: «متى يُحتمل أن تهدأ العاصفة؟».

ـ لا أملك أدنى فكرة، ولكن إحساسي ينبئني أن سلسلةً من العواصف المجنونة تمر من هنا.

فوافقته بتحسر: «وأنبأني إحساسي كذلك، في هذا الصباح، أن الطقس سيمسي عاصفاً».

ـ لا شك في أن المسؤولين كانوا يبثون التحذيرات من الرياح الشديدة منذ أيام.

فتوترت أعصابها وأردفت: «صحيح أنني سمعت في إحدى الإذاعات عن الإعصار الذي سيضرب المنطقة الساحلية، ولكني لم أعر ذلك انتباهاً. فهذه الأعاصير لا تصل في العادة إلى منطقتنا، أليس كذلك؟».

فما كان منه إلا أن أطلق شتيمةً وقال: «كلا، ولكنها تستطيع التسبب بأضرارٍ جسيمة ما إن تلقي بظلها. حسناً، سوف أجهز السلم كي يتسنى لك إنزال الحمولة، فالصعود من المركب والنزول منه في هذه الظروف مشقةٌ لعينة. هيا إلى العمل».

كانت ليلةً فيها من الإرهاق ما أبكى أونور. وحين ساعدها راين أخيراً

على النزول من المركب، في خضم الأمطار والظلام العاصف، كان المد قد بدأ يتحول جزراً، والمياه تنحسر، ولكنها كانت ما تزال تهدد بإغراق ساندرا ـ لي. واكتشفت أونور أنها لا تستطيع الوقوف على قدميها إلا إذا تعلقت براين.

ثم، وعلى نحو مفاجىء، هبت رياح هوجاء دحرجتهما معاً، وفصلت المركب عن مرساته، محدثة دوياً هائلاً ثم جرفته بعيداً في باطن الظلام.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ غرقت.. في أحضانه

كانت أونور ما بين النوم واليقظة عندما سمعت الكلمات تخرج منها ثقيلةً: «هذا أمر لا يصدق!».

وما لبثت أن تأوهت وقد استفاقت تماماً لتفاجأ برأسها يؤلمها وبكل عضلةٍ في جسمها تكاد تتمزق.

ـ ما بك؟

أجابته وهي تحاول أن تفتح جفنيها المثقلين بصعوبة: «أشعر وكأنني كنت في دوامة».

رد براين وهو يركز نظراته عليها: «على أي حال، كان وضعنا يشابه الدوامة. وقبل أن تقولي: «اسمعني الآن يا سيد بايلي»، أعلمك أنك ما كنت لتحصلي على مثل هذا النوم الهادىء والهانىء بأي طريقة أخرى».

نظرت إليه وإذا بها تدرك قربه الشديد منها، ولاحظت للمرة الأولى التموج الداكن في عينيه الرماديتين، ثم اكتشفت، في أعقاب ذلك، أنها نائمة بين ذراعي راين، فيما هما ممددان على وسائد تكسو كرسياً تحت صخرةٍ في الشاطىء. كما لاحظت أن المطر ما زال ينهمر شديداً بصوت يشبه قرع الطبول فوق مظلةٍ، أقامها بطريقة ما، ما بين الصخرة وأرض الشاطىء. أما ضوء النهار، فكان يتسرب من المظلة فينسكب عليهما معتماً وخافتاً.

حذرت نفسها: «لا تدمري جمال اللحظة الآن».

لكن سرعان ما ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ باهتةٌ متحسرةٌ، تذكرها

ألا تعتاد على الفكرة كثيراً أيضاً.

سألها: «على ماذا يفترض أن تنطوي هذه الابتسامة من معانٍ؟».

فحررت نفسها من بين ذراعيه، وردت. «لا شيء يذكر، غير أن هذه الأوضاع ظروف استثنائية. أشعر أنني بحالة مريعة، وأنا متأكدة من أن مظهري يماثل حالتي، ويبدو أن المواصف لم تهدأ كثيراً».

قال: «كلا.. لا أظن أنها هدأت. وبالنسبة لشعورك، فسيفيدك فنجان قهوة وحبتا أسبرين، أما بالنسبة لمظهرك، فلا أظن أنه مريع البتة».

مررت أونور يديها في خصلات شعرها، ثم نظرت إلى ملابسها، فلاحظت أن قميصها الحريري ممزق الأطراف، فيما سروالها الفضفاض ملطخٌ بأنواعٍ مختلفةٍ من الأوساخ. وما لبثت أن بادرت إلى السؤال: «هل قلت فنجان قهوة؟ كم كنت محقاً في إصرارك على إحضار الموقد معنا».

فضحك وأجاب: «ما زالت في جعبتي اليوم وسائل راحة تفوق موقداً بسيطاً بكثير يا آنسة لينغارد».

رفعت حاجبيها وسألته: «كم الساعة الآن؟».

ـ إنها الحادية عشرة، لقد استغرقنا في النوم.

ـ على الأقل خف عويل الرياح قليلاً، هل استطلعت المكان؟

ـ أنا على وشك القيام بذلك الآن.

فقاما بالمهمة معاً، وهي تشعر أن كابوس الليلة الماضية لم يعد مخيفاً. لكن المطر الغزير حجب عنهما الرؤية، ومع ذلك كان في استطاعتهما رؤية الانجراف الصخري الذي ينخفض إلى محاذاة المياه، إضافة إلى منظر البحر الهائج. إلا أنهما لم يجدا أي أثر لـ «ساندرا ـ لي».

لم تأتِ حراكاً، فيما كانت تراقبه يتأمل الأفق المحتجب، مشدود العضلات، ثابت الوجه. ومضت لحظات ليست بقصيرة قبل أن يتمتم: «سنستخدم ذلك المكان كحمّام، فمن شأن هذه الصخرة أن تمنع عنك التيار، ولكني سأذهب أولاً كي أتأكد من صلاحيته وحسب».

عندما عادت أونور من خلف الصخرة، وجدت الموقد مشتعلاً يغلي

عليه قدر من الماء. وبعد دقائق قدم لها قدحاً من القهوة وحبة أسبرين.

فردت بامتنان: «ما أفضلها طريقةً يبدأ بها المرء نهاره. هل تعتقد أنها.. عرفت؟».

أجابها فيما كان يضع كوب قهوته جانباً، ويفتح علبة فاصولياء: «على الأرجح، ولكن ذلك يعتمد على الموقع».

توقف عن الكلام هنيهة وهو يرمقها متفحصاً ثم تابع: «.. لا داعي للقلق، شرط أن نقتصد باستعمال الماء. لكن، لا تنسي أن كمية وافرة من المياه العذبة تنهمر من فوقنا، كما أننا نملك من الطعام ما يكفينا لمدة أيام. هذا إلى أنهم سيبدأون بالبحث عنا حالما تسمح الظروف بذلك. ولهذا علينا أن نتدبر أمورنا على أفضل ما يمكن.. وألا نفقد أعصابنا».

ردت عليه ببرودة وهي تشمخ بذقنها: «ومن قال إنني أفقد أعصابي؟».

فحدق إليها للحظة طويلة ثم ابتسم قليلاً: «هذا ما عهدته بك، يا فتاتي، هل تهوين الطهو؟».

- نعم.

- إذاً، من الآن فصاعداً، أعهد إليك بهذه المهمة. أما أنا، فسأركز جهودي على الحفاظ على سلامتنا، واتقاء البلل.

- أمرك يا سيدي القبطان.

- أونور...

هزت كتفيها لا مبالية: «لا، يا سيد بابلي، راين، ليست هذه إلا طريقتي في إعلامك بأني أوافق كلامك».

طوال الساعات القليلة التي تلت، شغلت أونور نفسها في تنظيم ملاذهما، وترتيب الحاجيات من مواد غذائية وماء. ثم أقرت له: «كدت أعلن الثورة عليك، في الليلة الماضية، عندما أصررت على نقل كل هذه الحاجيات من على متن المركب. أما الآن، فأنهم الحكمة من ذلك».

وكم كان سرورها عظيماً حين وجدت حقيبة التنس معها، وفيها

ملابسها وعلبة أدوات تجميل، وفرشاة شعر.

بحلول الساعة الثالثة بعد الظهر، خارت قواها فجأةً، فتلفتت إلى ما حولها وهي تنصت إلى أصوات الريح، والمطر الذي يتساقط نقطةً نقطة فوق المظلة. وما كان منها أخيراً إلا أن غمرت وجهها بيديها.

قال راين بهدوء وهو يراها على هذه الحال: «إستلقي يا أونور، فلم يتبق ما تقومين به حالياً».

ردت عليه بصوت خشن: «لا شك أنك تفوقني إرهاقاً. فلقد قمت بمعظم العمل في الليلة الماضية».

فأجابها وهو يبسط وسادة لهما: «أنا لست عديم الفائدة».

ترددت قبل أن تستلقي فوق الوسادة باسترخاء، ثم قالت: «وأنا لست عديمة الفائدة أيضاً».

فجلس على الأرض وأسند ظهره إلى الصخرة: «أنت تعرفين ما أعني».

- أظن ذلك، ويبدو أنك تجيد القيام بهذه الأمور بمهارة بالغة. فكيف تعلمت ذلك؟

نظر إليها، فيما كانت نظراتها مسلطةً على المظلة وأجاب: «كما أخبرتك، كان والدي عامل منجم، من منطقة ايسوبش، وفي الوقت ذاته، هوى التنقيب عن حجارة الفيروز وغيرها من الحجارة الكريمة. أما نحن، فاعتدنا الذهاب معه خلال العطل المدرسية. فننتقل في سيارة نقل قديمة، نحمّل عليها معدات التنقيب وخيمتين باليتين وما شابه».

- هل كنتم تعثرون على الفيروز؟

- ليس كثيراً. ولكننا، كأولاد، كنا نجد متعةً ما بعدها متعة.

فقالت له باسترخاء: «لقد قطعت مسافةً شاقة قبل أن تصل إلى ما أنت عليه الآن».

فحملق في جمال قوامها الغافي والمتعب. وأردف: «هذا صحيح، هل أخبرتك كيف تنامى اهتمامي باللوحات والأعمال الفنية؟».

- كلا..

- كنت أبحث عن هديةٍ لأمي، بمناسبة عيد الميلاد، في متاجر الأغراض المستعملة. حينها كنت ما أزال في الخامسة عشرة من عمري، ولا أملك الكثير من المال. لكنني كنت مصمماً على أن أشتري لها تمثالاً صغيراً من الفن الصيني، فهي تحب مثل هذه القطع الفنية.. وفجأةً، وقع نظري على صورةٍ صغيرة، بل لوحةٍ زيتيةٍ أصلية تمثل منظراً طبيعياً ناعماً وباهتاً. ورغم أن إطارها كان رثاً وبالياً، إلا أنني لم أملك ما يسد ثمنها.

- وفي النهاية، اشتريت تمثالاً من الفن الصيني، ولكني لم أستطع أن أنزع من خيالي تلك اللوحة. وكأنها فتحت أمامي عالماً جديداً.. وكأنني اكتشفت أن حقول الفحم الحجري في ايبسويش ليست أجمل الأماكن على الأرض. وكنت أواظب على العودة إلى ذلك المحل لا لهدفٍ إلاّ النظر إليها، وفي كل مرةٍ، كنت أخاف أشد الخوف من أن يقدم أحدهم على شرائها».

«ولكن ذلك اليوم أقبل أخيراً واختفت اللوحة عن ناظري إلى الأبد. وأتسمت حينها أنني في يوم ما، سأقتني أعظم اللوحات الفنية.

فتمتمت أونور: «هذه قصة.. جميلة».

فضحك بهدوء ونظر إليها مجدداً، فيما كان النوم يداعب عينيها، حتى انسدلت أهدابها فوقهما برقة.

* * *

بعد ثلاث ساعات، استيقظت لتفاجأ بالظلام مخيماً في الخارج، فيما المطر ما يزال ينهمر، وما من نورٍ يلفهما إلا ضوء المصباح الشحيح. ثم استدارت نحو راين، وإذا به يهم أن يشعل الموقد، فاعترضته قائلة: «من فضلك، هذه مهمتي».

- لا تهتمي، فالأمر لا يتعدى تسخين معلبات اليخنة، هل أنت جائعة؟».

نظرت إليه بتعجب وقالت: «نعم، والحق يقال إنها أعجوبة بالفعل أن

تملك كل هذه المعدات على متن مركبك».

- كنت أحتفظ بها من أجل حفلات الشواء على الشاطىء. وبالحديث عن ذلك، ندمت كثيراً لأني لم أجلب موقد الشوي من المركب. فقد كان ليزيد من تنوع طعامنا.

فتابعت متذمرة: «تحت المطر».

- إنه موقد يعمل على الغاز وليس على الفحم، لكنني لم أستطع إنزاله لأنه ثقيل الوزن جداً. هل تحبين أن تتناولي شراباً قبل الطعام؟ لقد تمكنت من إنقاذ زجاجة عصير.

ابتسمت وقالت: «أتمنى ذلك، ولكني أشعر بأني محطمة تماماً».

وبينما التقت نظراتهما، أضاف قائلاً: «باستطاعتك أن تأخذي دوش في أي وقتٍ تحت المطر. ألا يغريك أن المياه ليست باردة؟».

فتناولت الكوب البلاستيكي الذي قدمه لها وأجابت: «نعم، حسناً.. قد أقوم بذلك غداً، فأنا لا أملك غير قطعةٍ إضافية واحدة من الملابس».

- لا تقلقي، تكفلت بإحضار بعض القمصان من على المركب.

فسكتت قليلاً قبل أن تنطق بأول كلمةٍ بادرت إلى ذهنها: «من كان الرسام؟».

نظر إليها بدهشة وهو يرفع حاجبيه.

فارتشفت جرعةً من العصير ثم أردفت: «أنا أعني... رسام اللوحة التي أثارت اهتمامك بهذا الفن».

- آه..

فغطى وعاء اليخنة، وأطفأ الموقد، ثم استعاد جلسته المفضلة، فأسند ظهره إلى الصخرة، وأجابها: «براد أولدفيلد. كانت واحدةً من أولى رسوماته، رسمها قبل وقتٍ طويل من بلوغه الشهرة والثروة، ومن سخرية القدر أنني لم أتمكن من العثور على هذه اللوحة قط».

حدقت فيه متعجبة وقالت: «هكذا إذاً.. يا له من عالم صغير فعلاً! ولكن لا بد من أنك كنت تملك حساً فنياً مرهفاً، ولو في صغرك».

فقطب جبينه ورد: «كثيرون من الناس لا يملكون حساً فنياً على الإطلاق، ومع ذلك، تنال لوحات براد وأعماله كامل إعجابهم».

- بماذا فكرت عندما التقيته للمرة الأولى؟

ضحك وأجاب: «إنه لعالم صغير فعلاً».

- وكم طال زواجك منها؟

انطلق منها السؤال عفوياً، فتوردت وجنتاها وحولت نظراتها عنه، لتتمعن في الكوب الذي بيدها، ثم استدركت بارتباك: «أنا آسفة.. لا أدري لماذا ألقيت هذا السؤال».

قال لها ملاطفاً: «لعله ورد في مجرى الحديث، بمنتهى الطبيعية.. وعلى أي حال، استمر زواجنا سبع سنوات».

فنظرت إليه وقد زال ارتباكها: «سبع سنوات! لا شك أنك عرفت أن زواجك سيؤول إلى الفشل قبل ذلك بكثير».

أجابها وهو يهز كتفيه: «نعم، وفي الواقع، شعرت باكراً بأن الزواج لن يستمر. ولكن القصة طويلة، إلا إذا كنت راغبة فعلاً في معرفتها..».

ردت عليه بعد تأنٍ ملحوظ: «إنها تثير فضولي، كما أنه لدينا الكثير من الوقت».

تأملها بغموض ثم هز كتفيه وقال: «كنا في مقتبل العمر عندما التقينا. أنا في الخامسة والعشرين وهي في الثامنة عشرة من عمرها. وقد أرسيت لتوي قواعد «بايلي للإنشاءات». ولكن البداية كانت كفاحاً مريراً وطويلاً. فمتابعة الدراسة بحد ذاتها، في الخامسة عشرة من عمري، بدت مشقة طويلة. وعدا عن بطالة والدي، تدهورت صحة أمي تدريجياً».

التقط أنفاسه ثم تابع: «ساندرا.. دخلت حياتي في وقت كنت بحاجة ماسة إلى.. لا أعرف تماماً الكلمة المناسبة.. إلى الراحة ربما. وأعتقد، أنني كنت قد مللت من مبارزة الفتيات، وهدني الفقر، وأتعبني..».

- على مهلك.. ماذا تعني بـ «مبارزة الفتيات»؟

- حسناً، عرفت نوعين من الفتيات، النوع المتأنق الذي يجاير الرجال، والنوع الذي يلتصق بالرجل كالغراء، ثم بدأ بالحديث عن الزواج والأولاد.. أما ساندرا، فكانت مختلفة. يمكنك القول إنها فتاة من الطراز القديم، وقد تلقت تربية جيدة. بدت مختلفة عن غيرها من الفتيات بتهذيبها وهدوئها.

وتعمّد أن يضيف: «لم أدرك إلا بعد فوات الأوان أن حياة الزوجين الحميمة تخيفها، وعلى الأرجح ستخيفها باستمرار. فاكتشفت أنني أستطيع الهيمنة عليها، وأقدمت على ذلك بطريقةٍ كرهت فيها نفسي أحياناً. وقد مرت أوقات رغبت فيها بالتذمر والشكوى والصراخ، في محاولةٍ لإجبارها على الخروج من هذا القناع الهادىء والرصين والمهذب الذي، لسخرية الأقدار، ضللني منذ البداية. فرصانتها ليست قناعاً، بل كل ما عندها.

«ولم تستطع أن تتفهم سعة تفكيري ومدى رؤيتي للأمور. بل كانت أوصالها ترتعد في كل مرةٍ أجازف فيها، وأوسع أعمالي. وما زلت أذكر يوم اشتريت فيه يخت ساندرا - لي. حينها، كنت متحمساً ومبتهجاً ولكنها صدمت، واكتشفت لاحقاً أن المراكب تخيفها. وفي الوقت نفسه الذي كان يقيني يزداد، رحت أصلي إلى الله، كي لا يكون شكي صحيحاً».

عبست أونور وسألته: «ماذا تعني بذلك؟».

فتجاوزها بنظراته وأجاب: «أعني أنني ربما كنت الرجل غير المناسب. فقد دفعتها، بقصدٍ، أو عن غير قصدٍ إلى هذه الاستكانة اللطيفة، لأنني لست، وعلى الأرجح لن أكون أبداً..».

فتابعت قبل أن يلتقط أنفاسه: «إلا ذلك المتشدد والمتعجرف المفعم بالحيوية والطاقة الفجة.. أرجو ألا تكون خيبتك قد دفعتك إلى اللجوء للعنف الجسدي معها».

فرمقها بنظرةٍ ساخرة ورد عليها: «كلا. قد أعاني سلبياتٍ كثيرة، ولكني لا أسيء معاملة النساء. وعلى أي حال، فالطرق الخبيثة كثيرة».

فأجابه بتذمر: «أنا متأكدة من ذلك. هل حدث أن قاومتك مرة؟».

- ليس تماماً، ولهذا أمضيت سبع سنوات من عمري وأنا أحاول أن أكبت كل أنواع المشاعر، وأحس بالغضب عندما أفشل في ذلك. أما هي، فأمضت سبع سنوات من عمرها وهي تحاول جاهدة مسايرتي، وإنجاب أطفالي.. لكن محاولاتها جميعها باءت بالفشل.

- إذاً هجرها كان، على الأرجح، التصرف الأكثر إحساناً الذي تميزت به.. أعني طلاقكما. من المؤكد أنها استوعبت ذلك الآن! كم مضى على... انفصالكما؟».

- ثمانية أعوام. ولكني في بعض الأوقات، أعتقد أنها أدركت ذلك، وفي أوقات أخرى.. أشك في الأمر.

سألته بفضول: «لماذا ما زلت تتصل بها؟».

فعبس وتنهد: «لعله الشعور بالذنب، على ما أعتقد، عدا عن أنها مساهمةٌ في الشركة. وأردت أن أتأكد من أنها لن تحتاج أبداً إلى أي شيء».

- ألم ترتبط بأي علاقة حب بعد الطلاق؟ فهي ما تزال شابة.. كم يبلغ عمرها؟ ثلاثة وثلاثين؟

أجابها من دون أن يظهر عليه أي انفعال: «لقد ارتبطت بعلاقتين غير مناسبتين على الإطلاق».

- وماذا عنك؟

فتساءل وابتسامةٌ ترتسم حول شفتيه: «هل تعنين، إن كنت قد ارتبطت بعلاقاتٍ غير مناسبة؟».

ردت عليه بتجرد: «تدور الكثير من الشائعات عن عشيقاتك».

- لا تصدقي كل ما تسمعينه يا أونور، فتسعون في المائة منه مجرد تكهنات. وفي الواقع، لم أرتبط جدياً إلا بامرأةٍ واحدةٍ بعد طلاقي من ساندرا. وكانت تفضل الموت على أن تُعرف بعشيقتي، وبعد عدة سنوات، افترقنا بمودة، وتزوجت هي بعد ذلك.

- كنت أعتقد أن الرجال...

ولم تنهِ أونور جملتها، فقد قاطعها رابن فجأة: «كلا. يصعب على معظم الرجال العيش مثل الرهبان، أهذا ما كنت توشكين على قوله؟».

- حسناً، نعم.

- ولم أعش بدوري مثل الرهبان. لكنني، لن أصور الأمر كموكبٍ متتابعٍ من النساء.

وأضاف بابتسامةٍ ماكرة، ولمعانٍ ساخر في عينيه الرماديتين «أهذا يريح عقلك الفضولي؟».

فحملقت إليه للحظةٍ وقالت ببرودة: «عندما تتفوه بكلماتٍ مثل هذه، أتذكر لماذا أنا فعلاً لا أحبك».

رد عليها بتكاسل: «حسناً، هذا تحسنٌ ملموس. أعني، أن تتمكني من نسيان كرهك لي في غالب الأوقات».

- لكنني لم أقل ذلك...

توقفت عن الكلام، بعدما تناهت إلى سمعهما ضجةٌ عاليةٌ غطت على صوت انهمار المطر. ثم سمعا صوت تدحرج، وإذا بالمظلة تنهار، وهما يقفزان من مكانهما، وسرعان ما سألته بخوف: «ما كان هذا؟».

فأمسك بيدها، ثم لفها بذراعه بعد أن شعر بها ترتجف: «لا شك أنها شجرةٌ وقعت من أعلى هذه الصخرة. ويبدو أن الرياح اقتلعتها، بعد أن انجرفت التربة بفعل المطر. لا تقلقي، نحن في أمان».

- ولكن ماذا نفعل إذا.. احتجزنا في الداخل؟ أو وقعت حولنا الانهيارات؟

أجابها وهو ثابت الجنان: «المكان فوقنا ليس عالياً، ولا تحيطنا الكثير من الصخور والتراب يا أونور. كما أن الأمر لا يتعدى سقوط شجرة لم تستطع الصمود، وسأخرج بنفسي وأتدبر أمرها الآن».

ثم انحنى فوقها وعانقها برقةٍ، وما لبث أن أبعدها عنه واختفى في الظلام تحت المطر، قبل أن تتمكن من التعليق بكلمة.

عندما رجع بعد نصف ساعة، مبتلاً حتى العظام، ومغطىً بالوحل فيما الماء يقطر من شعره حتى أهدابه، قال لها: «لا أستطيع أن أنجز الكثير الليلة، لكنني تسلقت الصخرة المعلقة وتفحصتها.. بتأنٍ.. وأعتقد أن كل ما يمكن أن يسقط عنها، قد سقط».

تأملته بشيء من التذمر: «وأنا أعتقد أنه من الأفضل أن تأخذ الدوش الذي نصحتني به قبلاً، فيما أعد العشاء».

فتناول منشفة وبعض الملابس الجافة ثم نظر إليها: «سأفعل، ولكن...».

فردت عليه برصانة «لا عليك، نادني عندما تصبح جاهزاً لارتداء ملابسك، وسأدير أنا ظهري».

ـ حاضر، سيدتي.

وبعد أن أجابها بوداعة، غادر ملجأهما، منتزعاً منها أي فرصة للتعليق.

شعرت أوتور ببعض التوتر، بعد أن تناولا الطعام، ثم رتبت المكان وجهزت القهوة.

اتكأ راين على الوسادة، وقد بدا عليه الاسترخاء التام. ثم اقترح عليها: «لِمَ لا تخبريني عنك؟».

فأجابته بنبرة لاذعة: «إذا كنت تقترح أن أبادلك الأسرار مقابل تلك التي...».

فرد عليها بوقار «كلا، على الإطلاق. كما أن ما ذكرته لك لم يكن سراً حميماً إطلاقاً».

ـ أنا لا أوافقك كلياً، ولكن بمَ تفكر؟

ـ ما الذي دفعك إلى هواية الفن؟

فكرت قليلاً، ثم أجابت: «أعتقد أنها كانت في داخلي دائماً».

وما لبثت أن تمهلت قليلاً، قبل أن تتابع باستسلام: «تعود ذكرياتي الأولى عن هذه الهواية، إلى يومٍ وجدت فيه متعةً في تأمل لوحةٍ صغيرةٍ في

غرفة نومي، وشمعدانٍ من الفضة إلى جانب سريري».

ـ هل حاولت أن ترسمي بنفسك؟

ـ نعم. طبعاً، ولكن بصورةٍ عادية جداً. من غرابة الأمور أن تكون مواهبي الفنية منزلية، فأنا أهوى تصميم الأزياء وخياطتها وأحب الطهو.

فشاهدته يرفع حاجبيه مندهشاً، قبل أن يقول: «لا تبدو ملابسك من صنع يدك البتة».

ـ ليست كلها كذلك.

فبادر إلى سؤالها: «ماذا عن ذلك الفستان الحريري القرمزي اللون؟».

ـ إنه من تصميمي...

وما لبثت أن توقفت عن الكلام، وهي تستغرب الحرارة التي سرت في جسمها.

ـ أنت ماهرة جداً يا آنسة لينغارد.

ثم ساد الصمت لمدة عشر دقائق، سألها بعدها: «هل فكرت يوماً بالزواج؟».

قررت فجأةً أن تكون صادقة معه فتنهدت وأجابت: «نعم. ولكن لا أتخيل أن زواجي سيكون ناجحاً».

أدار رأسه لينظر إليها وسألها: «لماذا؟».

ـ أعتقد أنني استقلالية أكثر ممّا يلزم. هذا من جهة، أما من جهة أخرى، يبدو أنني لا أملك أي رغبةٍ بالأمومة وأنا.. سعيدةٌ تماماً بما أنا عليه.

ـ هل ارتبطت بعلاقة مع أحد في وقت من الأوقات؟

فألقت عليه نظرة، تفصح عما يدور في خلدها. ولكنه، لحسن الحظ، كان يحدق في الصخرة، فأجابته ببرودة: «كلا.. ولكن، وكما افترضت تماماً، أستطيع..».

ـ يمكن لهذا أن يتغير.

مالت برأسها إلى الوراء وقالت: «إذا جاء الرجل المناسب؟ ربما. ولكن حالياً سأبقى على ما أنا عليه».

- وماذا تفعلين عندما تشعرين بحاجةٍ ماسة إلى رجل، يا أونور؟

ضحكت، لا لأن السؤال سرّها بل لتخفي الغضب الذي اعتمل بداخلها، وشعور الصدمة الذي ولده فيها. وأجابته: «لم يحدث أن احتياجاتي كانت من القوة بحيث تدفعني لأي تهور».

- أخبريني إذاً، إلى أي مدى تصل قوة احتياجاتك عندما تستولي عليك؟

- أنا...

وما لبثت أن توقفت عن الكلام، ثم تابعت ببطء وصدق: «أحياناً أتساءل عما أغفل عنه، وأحياناً أنظر إلى ما حولي من أصدقاء، وأتساءل هل فعلاً يفوتني الكثير. ويبدو لي أن الكثير من الناس يقبلون على الزواج، ولكنهم سرعان ما يقعون أسرى الندم ويتآكلهم الأسف».

- كيف تتصرفين إذاً عندما تقعين في الحب؟ أم أنك تعتقدين أنك لم تقعي في الحب قط؟

وردت عليه بسخرية: «ربما من الأجدر بك أن توجه هذا السؤال إلى الرجلين اللذين اعتقدت أني وقعت في حبهما».

وما لبثت أن تمهلت وأضافت: «إلى أين يقودنا هذا الحديث؟».

ورد عليها بلطف: «ليس إلى أي مكان في هذه الليلة. أعذريني ولكني شعرت بالنعاس فجأة. عندما تجهزين للنوم، ما عليك إلا أن تبسطي الوسادة الأخرى».

شدت قبضتيها وقالت: «هل تفضّل أن أطفىء المصباح؟».

- لا، فالضوء لا يضايقني.

- حسناً، أعتقد أني قد أتذرع بالصبر، فقد يكون ذلك مفيداً.

ضحك ورد عليها: «ما الذي أثار غضبك الآن يا أونور؟».

- طريقتك في فتح باب النقاش، ثم إغلاقه متى تشاء.

لكنه اكتفى بالإجابة والنعاس يغالبه: «سأحاول أن أصلح من طرائقي».

وهكذا تذرعت بالصبر لمدة ساعة، ومن ثم قررت التوجه إلى الحمام فمشت بحذر إلى جانب الصخرة. عندما رجعت، وجدت رابن ثابتاً لا يأتي حراكاً، فبقيت تتأمله للحظةٍ طويلة، وألفت نفسها تفكر، من بين كل الأمور، في صديق يكون في الوقت ذاته حبيبها. وهي علاقة لم تستطع بلوغها يوماً، ولا تعرف إن كانت قادرةً فعلاً على بلوغها.

وما لبثت أن حدثت نفسها: «ليس هو طبعاً، ففيّ إحساس من التسلط، وهو معتادٌ على إلقاء الأوامر. وإن كانت ساندرا قد وجدت ملاذاً في هدوئها المهذب، فأنا كنت لأقاومه مثل ثور. يا الله، إلى أين سرحت أفكاري»؟.

وسرعان ما هزت رأسها لتبعد عنها هذه الأفكار، وتمددت على الوسادة، ثم أطفأت المصباح وحاولت الخلود إلى النوم.

ولكن الرقاد جفا منها المقلتين تلك الليلة. ظلت تتقلب في فراشها لساعتين، إلى أن ارتفع صوته في الظلام: «أونور، هذا لن ينفع».

- هل أيقظتك؟ أنا آسفة..

ولكنها لم تكن كذلك، فقد استولى عليها إحساسٌ جارفٌ بالظلم.. فلو لم يكذب على مارك مارخام، ويخبره أنه لن يقدم على شراء لوحاته من دون استشارتها، لما كانت الآن تعاني شتى أنواع الحرمان، هذا هذا الإحباط الذي يسببه وجودها مع رابن بايلي. لو لم يكذب على مارك، لما ارتدت الثياب ذاتها ليومين، ولما كانت على غير طبيعتها الواثقة من نفسها.

- نعم، لقد فعلتِ، ما بكِ؟

أجابت باستغراب: «لا شيء! فأنا مسرورة جداً من الرمل الذي يغطيني، وقد أثلج صدري من رائحة طارد الحشرات الذي دهنت به جسمي كي لا أتآكل حية. كما أن الإعصار الهائل القادم نحونا قد أطرب

أذني. وعدا عن التفكير إن كان مارخام يترصدنا في مكان ما أو إن كان قد غرق، فلا، لا شيء يقلقني يا سيد بايلي».

وما لبثت أن جلست، وأخذت تتابع كلامها بطريقةٍ مخالفةٍ للعقل والمنطق تماماً: «بالإضافة إلى أمر آخر، فأنت على الأرجح أصبحت تحتل الصفحات الأولى من الصحف بهذا الوقت، وأستطيع أن أتخيل العناوين البارزة: «اختفاء مليونير».

وأضافت بنبرةٍ دراميةٍ: «وسيحصلون على سبق صحفي عندما يظهر المليونير مع امرأة «عثر على مليونير مع امرأة غامضة برفقته!»».

رد عليها بتعقل: «وحينها، ما علينا إلا أن نخبرهم عن هويتك، وعن حقيقة الحادثة، أليس كذلك؟».

فنظرت إليه وقالت بازدراء: «لا أتخيل أن الجميع سيصدقون هذه الرواية».

- صدقيني، سيفعلون.

ولكن هذه الفكرة التي انتشلتها من أحلامها زادتها انزعاجاً، فأمعنت النظر فيه برهة.

- أونور، أنا على وشك الإقدام على خطوةٍ لأخلصك من حالتك النفسية. إنما لا تسيئي الظن بمقاصدي.

نهض من مكانه، وأشعل المصباح، ثمّ مد يده لها.

سألته بقلق: «ما الذي ترمي إليه؟».

- سأريحك وأريح نفسي، هذا كل ما في الأمر. فهلاّ تفضلتِ، ونهضت مثل فتاةٍ مهذبة؟

حدقت إليه بنظراتٍ ملؤها التحدي، ثم نهضت من دون مساعدته، وراقبته، فيما كان يضع وسادتها فوق وسادته ويحضر منشفة كبيرة جافة.

ثم تكلم بتذمرٍ: «لقد أقدمنا على ذلك الليلة الماضية، ونستطيع أن نكرر التجربة الليلة، وثقي أنني لا أضمر، على الإطلاق، نوايا تجاهك، اللهم إلا أن أريحك كي تنالي قسطاً من النوم.. فأتمكن من الرقاد

بدوري».

فتسمرت مكانها واستفهمت: «هل.. تقترح.. ؟»

- نعم، أن نقوم بما فعلناه الليلة الماضية.

فاكتسى وجهها بالإحمرار خجلاً، وقالت: «ولكن الأمر اختلف، فقد كنت بالأمس ساهيةً ومتعبةً جداً..».

فرد عليها بسخريةٍ تدل على نفاد صبره: «وأنت حالياً لست مثال الصفاء والاتزان أيضاً».

وقبل أن يترك لها مجال الإجابة، أخذ بيدها، ثم أطفأ المصباح، وشدها إلى جانبه، وغطاها بالمنشفة وقال لها: «لست مضطرة للنظر إليّ، أشيحي بوجهك إلى الجانب الآخر، إذا رغبت في ذلك..».

لكن ذلك يعني.. أن تستلقي، ووجهها نحو الصخرة، فيما تدير إليه بظهرها، وهو يحاذي جسمه، وذراعه ملقاةً حول خصرها، وقامته الفارعة الباعثة للأمان تحميها.

وبعد برهةٍ أضاف: «لم لا تبدأين بتعداد اللوحات، أو ما شابه؟ فكري في كل اللوحات التي تريدين إضافتها إلى المجموعة... بالمناسبة، لقد قررت أن أنوع مجموعتي، فألحق بها بعض المنحوتات وبعض...».

سمعت في صوته نبرة من المزاجية، قبل أن يتابع: «... الأثريات البوباوية التي أوشك أن أحصل عليها، على ما أظن، ولكن سأستعيرها بهدف العرض فقط. هل تعرفين أي معلوماتٍ عن هذه؟»

فأجابته ببطء: «كلا».

ولكن اهتمامها بالموضوع تضاعف، وأخذا يتحدثان عنه بتقطعٍ لبضع دقائق، إلى أن ساد الصمت أخيراً، وأدركت أنه أخلد إلى النوم.

وهنا، قالت في نفسها: «أشعر.. بالتفاهة. لا لأني غير مرتاحة، بل لأني تافهة. ولأني كنت ضائعة لعدة أسابيع. ويبدو أني لا أشبه أونور لينغارد السابقة التي كانت واثقة جداً من نفسها، وكأنني مسكونةٌ برغبةٍ ملحةٍ في مقارعة هذا الرجل. ومع ذلك، ها أنا مستلقيةٌ في أحضانه

وأشعر بالأمان. ما أغربها حالة..».

وظلت أسيرة أفكارها إلى أن نامت أخيراً بعمق، نوماً لا تتخلله أحلام، ثم استفاقت لتجد نفسها وحيدة. بقيت مستلقية لبضع دقائق وهي تتساءل هل سيختلف هذا النهار عن سابقه، إلى أن أدركت أن المطر قد توقف وأن أشعة الشمس الضعيفة تنساب إليها من خلال المظلة. فنهضت وثباً.

وهنا، وقع نظرها عليه، يسبح بالقرب من الشاطىء. كما شاهدت أيضاً انقشاع الغيوم مما بعث فيها إحساساً بالأمل والنشاط. ومن دون أن تعيد التفكير، خلعت سروالها وقميصها وهرعت إلى الشاطىء بملابسها الداخلية، ثم خاضت غمار المياه وغطست والبهجة تملؤها.

بعدئذٍ، ناداته قائلة: «ما أمتع ذلك! كاد المطر يصيبني بالجنون!».

وهكذا، سبحت لمدة نصف ساعة، حتى أنهكها التعب، فخرجت وهي تشعّ حيوية.

أما هو، فكان ينتظرها وهو يرتدي سروالاً قصيراً ويبده منشفة، فشكرته وهي تلهث، ثم لفت المنشفة حول جسمها، وقالت وهي تمرر أصابعها في خصلات شعرها: «كان ذلك رائعاً».

قال لها: «أما الآن، فجففي جسمك بهذه القماشة المبللة بالماء العذب كي تزيل آثار الملح عنك».

قالت له ضاحكة: «أنت نعمةٌ إلهيةٌ في مثل هذه الظروف يا سيد بايلي، لا أدري ماذا كنت لأفعل من دونك. وأنا آسفة لكوني أضجرتك جداً ليلة أمس».

ـ لا، لم تضجريني.

ردت عليه بعفوية: «ولتعويضك عن ذلك، سأعد لك إفطاراً مترفاً».

ففسح لها المجال، كي تغير ملابسها، وترتدي ثياب التنس. وبعد أن انتهت، حضرت وجبة فطور مكونة من الستيك والأناناس إضافة إلى البيض المقلي. وهما البيضتان الوحيدتان اللتان لم تنكسرا خلال عملية

نقل الحاجيات من على مركب ساندرا لي.

وفيما كانت تناوله طبق الطعام، سألته: «ما رأيك بهذا الفطور؟».

ـ عظيم، شكراً.

ـ ماذا كنت تفعل؟

ـ أجمع الصخور فوق الرمل، لأشكّل علامة لطلب النجدة، وأعتقد أن تكويم المزيد من الحجارة سيلفت الانتباه.

ـ يجب أن نضع سارياً، ونشعل النار، مع أنني أعتقد أن كل شيء ما زال مبللاً.

ـ نعم. معك حق، ولكن الساري فكرة جيدة.

وفجأة، توقفت عن الأكل وسألته: «هل عندك أي فكرة عن مكاننا؟».

فقطب حاجبيه وأجاب: «أنا آسف. كلا، فمجال الرؤية ما زال محدوداً ويبدو أنني فقدت الإحساس بالاتجاهات حتى بالاعتماد على البوصلة. ولكنني سأستطلع الجزيرة بعد الانتهاء من الطعام، ومن المحتمل أن أعثر على فكرة أوضح، لا سيما أن الطقس أصبح صافياً الآن».

سألته وهي تشعر بقلق: «هل تعتقد أنه سيستمر كذلك؟».

ابتسم لها وأجاب: «فلنأمل ذلك».

وبعد الانتهاء من تناول الفطور، انهمكا في تكويم الحجارة وتركيب السارية. وثبتها راين على الشاطىء مؤكداً أنها ستكون ظاهرة للأعين بشكل أفضل، ثم استعد ليستطلع الناحية الأخرى من الجزيرة.

شاهدت أثناء غيابه طائرتين صغيرتين تحومان على ارتفاع منها، فأخذت تجري في كل الاتجاهات، وهي تلوح بمنشفة حمراء اللون ـ كما اتفقا ـ ولكن الطائرتين لم تقتربا.

بعد مضي ساعتين عاد إليها.

ـ لقد عرفت أين نحن. إنها إحدى الجزر القليلة في خليج مورتون

غير المأمولة بتاتاً.

توقف واستطرد بلهجةٍ ساخرة: «. . . وسوف تمطر ثانية».

ـ هل شاهدت الطائرتين؟

ـ نعم. لا تقلقي، سرعان ما يأتي غيرهما.

وبعد مضي ساعة تقريباً، ظهرت طوافة النجدة، وعلى متنها فريق أخبارٍ متكامل. وفيما كانا يراقبان الطائرة وهي تحط، أمسك راين بيد أونور وقال: «حسناً، هذه نهاية هذا الفصل من حياتنا. والآن نستطيع أن ننتقل إلى الفصل التالي».

ردت عليه وهي حائرة: «ماذا تقصد بذلك؟».

لوى شفتيه وهو يتفحصها، ثم قال: «عزيزتي أونور.. لقد كنت حريصاً جداً معك على هذه الجزيرة المهجورة، لأني شعرت أنه ليس من الإنصاف أن أتصرف بغير هذه الطريقة. ولكني الآن لست بحاجةٍ إلى ذلك، بما أننا رجعنا إلى الحضارة. أليس كذلك؟».

فما كان منها إلا أن خطفت يدها من يده، وتفحصت ملامحه بغضب، ثم قالت: «كان يجب أن أعرف!».

فرفع حاجبه بهزء ورد عليها: «أن باستطاعتي أن أكون رجلاً نبيلاً أصيلاً!».

صاحت به: «بل أنك لا تستسلم أبداً».

فنذمر قائلاً: «أنا أستغرب الآن لماذا توقعت منك الشكر على رعايتي لك منذ أن اختطفنا، يا آنسة لينغارد».

وما لبث أن استدار عنها، نحو فريق الأخبار الذي اقترب منهما.

* * *

٥ ـ أسبوعان في كهف النمر

استولت على أونور مشاعر مختلفة وهي تقرأ في الصحف في صباح اليوم التالي مقالاً عن راين بايلي، تصدرته صورة لهما على شاطىء الجزيرة، فيما يداهما متشابكتان بوضوح تام. وجاء فيها:

«عثر على المليونير العصامي راين بايلي والقيّم الفني على أعماله أونور لينغارد، بعد تعرضهما للاختطاف وانعزالهما في جزيرةٍ..».

ويضيف المقال أنه جرى فتح تحقيق في الحادث، وأن يخته ساندرا لي قد غرق. وينتهي بسرد سيرة راين وإنجازاته العملية.

وما لبثت أن وضعت الصحيفة جانباً، وهي تحاول أن تصرف أفكارها عن هذا الموضوع، وتساءلت عمّا حل بمارك مارخام. فحتى الآن، لم يتمكن المسؤولون من العثور عليه، ولكنهم وجدوا سيارتها في مرآبه، كما تركتها، من دون أي خدش.

وفيما هي تفكر في مصيره، رن جرس الهاتف. وبعد محادثةٍ عربية استمرت بضع دقائق، أرجعت السماعة إلى مكانها بعنف، ثم رفعتها بسرعة بعد أن رن الجرس ثانية، وهي على استعداد للدخول في معركة كلامية، وقالت باستياء: «نعم؟».

فجاءها صوت راين من الطرف الآخر: «أونور، كيف حالك؟».

وردت عليه: «أنا غاضبةٌ جداً، لقد تلقيت للتو عرضاً من مجلةٍ، تقترح فيه شراء قصتي حصرياً. أو فلنقل روايتي الخاصة عن الوقت الذي أمضيته على جزيرةٍ مقفرة، مع المليونير الأكثر جدارة للزواج في الولاية

www.elromancia.com

كلها. لقد أخبرتك أن ذلك سيحصل!».

فضحك ورد عليها: «ستموت القصة خلال يومين، ولكن لمَ لاتأتين وتقيمين عندي في الوقت الحاضر؟».

ـ لا شك في أنك مجنون!

ـ سيكون المكان هنا هادئاً ومريحاً لك، أولاً لأني مرشدك سابقاً، وثانياً لأن حرسي الخاص سيمنع الصحافة من الاقتراب منك.

أجابته بعد هنيهة «ولكن لماذا يجب ؟ أنا أعني.. أنا عاجزة عن الكلام».

ـ عاجزة عن الكلام؟ هذا أمر لم أعهده بك قط، رغم تهديدي به مرتين من قبل. إذاً، ما رأيك لو تناولت العشاء معي هذه الليلة؟

ـ دراين..

توقفت لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت: «لقد أعطيتني إجازة عن العمل لمدة أسبوع، فدعني وشأني واترك الأمور على حالها».

ولمّا رد عليها ثانيةً، أدركت النبرة المختلفة في صوته.. تلك النبرة التي يجب ألا يُستهان بها: «أونور، أمامك خياران، إما أن تأتي لتناول العشاء معي، أو أن أحضر بنفسي لتناول العشاء عندك».

أجابته وهي تلهث: «أنا.. أنا سأغادر المنزل».

ـ لا بأس.. سأفعل ذلك بعد عودتك.

تذمرت: «أف، لماذا أتابع هذا الحديث السخيف معك حتى؟».

فأجابها بنبرة جافة: «لأنك امرأة عنيدة جداً. ولكن باستطاعتي أن أكون عنيداً أيضاً، سأرسل لك سيارة لتقلّك عند الساعة السابعة».

* * *

عادها الكثير من الزوار والأصدقاء خلال ذلك النهار. وكان من بينهم التحري الذي جاء، كما قال، لاستكمال الأقوال التي أدلت بها في محضر التحقيق. وبعد أن فرغ المفتش من ذلك، أبدى تخوفه من الإقامة بمفردها في الوقت الحالي، مما أثار قلقها.

قالت له بحدة: «ماذا تقصد بذلك؟ هل تعتقد أن مارك مارخام..؟».

فأجابها بلطف: «حسناً، لا أريد إخافتك من غير داعٍ. ولكن معلوماتنا عنه أصبحت الآن أكثر وضوحاً، وعرفنا أنه يعاني خللاً عقلياً وحسب تقرير أحد الأطباء النفسيين، هو معرض جداً لنزواتٍ غير طبيعية».

ردت عليه ببطء: «وأنا أؤكد على ذلك ولكن لنفرض أنه لم يغرق في مياه خليج مورتون، من المؤكد أنه بعيدٌ عني قدر الإمكان».

ـ حسب التقرير الطبي ذاته، عُرف عنه تشبثه وعناده الهائل عندما يتعلق الأمر.. حسب اعتقاده.. بمشاريعه الكبيرة وهكذا، قد يبلغ به الجنون محاولة الاشتباك مباشرة مع السيد بايلي. ولكنه قد يعتبرك وسيلةً للتغلب عليه.

نسألته بعد لحظة: «هل تكلمت مع السيد بايلي في هذا الأمر؟».

ـ نعم يا سيدتي، ولقد أرسلت له للتو نسخةً عن التقرير الطبي. لأنه بدا لنا...

التقط المفتش أنفاسه، ثم تابع بحذرٍ بعد أن نظر إلى المحضر الذي يحمله: «... نظراً إلى ما يعتقده مارك مارخام، عن العلاقة بينك وبين السيد بايلي.. فقد بدا لنا، وعلى أي حال، أنه قد يعتبر خطفك أنت بالذات، في هذه المرة، رهاناً أفضل».

ـ أوه، اسمعني!

ثم نهضت من مكانها، وأخذت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، لتخفي حيرتها وقلقها، إضافة إلى الاحمرار الذي اعتلى وجنتيها.

فأضاف المفتش ليهدىء من روعها: «أعرف أن ذلك، على الأرجح، احتمالٌ بعيد، ولكن، كما ترين، نحن أمام شخصٍ مصاب بانفصام الشخصية، هذا إذا لم يكن مصاباً بأسوأ من ذلك».

لوح بيده حول رأسه إشارةً إلى الأسوأ، ثم تابع قائلاً: «وبينما نأمل أن نلقي القبض عليه في أقرب وقت ممكن، فقد سببت لنا العواصف أعباء

إضافية هائلة، مما جعل الحوادث غير المألوفة تبدو أكثر من عادية في الوقت الحاضر. وعليه، من المستحسن يا آنسة لينغارد أن... هل لديك أي أصدقاء أو أقرباء يمكنك الإقامة عندهم لمدة أسبوعين؟».

ـ أسبوعين!

فأجابها بجدية «أعتقد أن ذلك يكفي».

ـ سوف أفكر بالأمر.

نهض وهو يبتسم لها «شكراً لك، سيدتي. أعلمينا أين ستكونين، وفي الوقت الحاضر أقفلي جميع الأبواب».

استغرقت دهراً في انتقاء الملابس التي سترتديها. وأخيراً، اختارت فستاناً من حرير الجورجيت الأزرق، واسع الياقة، قصير الأكمام، ومزيناً بأزهار الكاميليا. ثم انتعلت حذاءً من الجلد الرمادي ذا كعب قصير. وحمدت الله على توقف العواصف وانحسار الإعصار عن غلادستون، واتجاهه نحو عمق المحيط الهادىء. وبفضل هذا الطقس الهادىء والحار الذي خيم على بريسبان، استطاعت أن ترتدي هذا الثوب.

قرع جرس الباب عند الساعة السابعة تماماً. فأحست بتوترٍ عصبي مفاجىء، ثم فتحت الباب. كان الطارق، الشاب وارن. وسرّت كثيراً عندما وجدت سيارة هولدن التي ستقلّها من النوع الذي لا يلفت الأنظار. وذلك تحسباً لأي مطاردة محتملة من الصحافة، كما قال وارن، وسرعان ما اتجهت السيارة نحو المنزل الواقع على ضفة النهر.

سألت السائق، فيما كان يلتف إلى الشارع حيث يقع المنزل، وقد شعرت بالإحراج: «هل سنتناول العشاء هنا؟».

ـ نعم يا آنسة لينغارد. لقد طلب مني السيد بايلي أن أخبرك أن ذلك أفضل من تناول العشاء في مطعم، وأكثر سرية.

فقالت في نفسها وهي تشعر بقليل من الانزعاج: «وكيف يمكنك الرد على هذه الحجة؟».

وما إن وصلت، حتى فتح راين لها الباب بنفسه، ثم أخذ بيدها فوراً

إلى سطيحةٍ مرصفة تمتدّ بمحاذاة بركة السباحة. وهناك وقعت عيناها على طاولة من الزجاج وعليها بعض الشموع. تغلغلت في أنفاسها رائحة الياسمين من شجرةٍ نبتت على طول الجدار، وشاهدت البركة مضاءةً بمصابيح تحت الماء، مما أضفى على المكان لوناً بحرياً باهتاً يغري بالسباحة.

لم تنبس أونور بحرفٍ منذ تلاقت نظراتهما عند الباب. وفي الواقع، دهشت من وقع تأثيره عليها، رغم أن فراقهما لم يمضِ عليه أربعٌ وعشرون ساعة.

بدا شعره كثيفاً مهنداماً، تتخلله بضع خصلاتٍ فضية اللون، فاستعادت ذكراه حين كان مبللاً ومشعثاً. ولاحظت أن آثار الكدمات الزرقاء قد اختفت عن فكه، فيما بدا جسمه، هذه الليلة، لا سيّما بالملابس الأنيقة التي يرتديها، قوياً ومتيناً مثل شجرة سنديان.

وسألته فجأةً فيما كان يجلس في مواجهتها: «ماذا تريد مني؟ ألم تتعب من مبارزتي؟ إذا كنت تخطط لترميني بشباكك...».

فقاطعها بهدوء: «أليس هذا ما ترغبين فيه أيضاً يا أونور؟ وأعتقد أنه من الصدق لو اعترفت بأنك أنت التي تبارزين».

ردت عليه برصانة: «نعم، لا بأس، لقد فكرت في هذا الأمر، ولكني لن أقدم على ذلك، هل تريد أن تعرف لماذا؟».

ـ بالطبع.

كانت الابتسامة مرتسمةً على وجهه، فيما راح يتفحص شعرها الداكن اللماع، والنمش الخفيف على وجهها، إضافةً إلى تقاسيم وجهها الواضحة، ثم امتداد عنقها الناعم حول ياقة ثوبها الواسعة.

فتنفست بعمق وقالت: «صحيحٌ أن خال ساندرا أخبرني أنك وهي أشبه باجتماع نمرٍ ونعجة. لكن الوضع بيني وبينك سيختلف، إنما إلى الأسوأ، وسيكون وضعاً صعباً ومستحيلاً. وأنا آسفة لأني هدرت الكثير من وقتي في مقاومتك، ولكن هذا واقع الحال».

- ألم تهدري الكثير من وقتك وأنت تفكرين في الإيقاع بي؟

أجابته باختصار: «ليس بالقدر ذاته».

رد عليها بتكاسل: «قد يتغير هذا».

- هل تحاول أن تفهمني، أن خلافاتنا كلّها ستزول حالما توقع بي، وتحولني إلى امرأةٍ كلها أنوثة وطاعة؟ لا تحلم بذلك يا راين.

فلمعت أسنانه البيضاء في ابتسامة عريضة وقال: «أعتقد أن الأنوثة فيك تفوق تصوّرك».

وأضاف قبل أن تلتقط أنفاسها ونقاطعه: «وأنا لا أتكلم عن إحالتك إلى أنثى.. مطيعةٍ. فلو ظننت أن ذلك ممكن، لما كنت، على الأرجح، قد أعجبت بك بهذا المقدار. ولكن لا شك اتضح لك أن الكثير من الطاقة التي صرفتها في العراك تعود إلى سببٍ مغاير».

ردت عليه وقد لذعتها برودة لا تدري مصدرها: «لقد خطرت لي هذه الفكرة مرتين من قبل».

رفع حاجبه باستياء وسألها: «هل قاومت الرجلين اللذين ارتبطت بهما في السابق بمثل هذا الشكل؟».

فأجابته على عجل: «كلا، أقصد أنني ظننت أني.. لا أدري ماذا أقول أنني قد أتنازل عن استقلاليتي ربما.. ولكن ذلك لم يحدث، مع أنني كنت معجبةً بكليهما».

ولمّا شددت على الجملة الأخيرة بوضوح، قال لها بلطف: «حسناً. لقد أوشكت ماري على تقديم الطبق الأول من العشاء. أنا أعتذر لأننا سنتناول العشاء باكراً ولكن يجب أن أبدأ العمل في وقتٍ مبكر غداً. فسأسافر إلى بورت مورسبي عاصمة بابوا نيو غينيا حيث سأمضي يومين».

فحملقت فيه ثم هتفت بغيظ: «ها أنت تفعلها ثانيةً! كيف تجرؤ على أن تتصرف معي على هذا النحو باستمرار؟».

- أفعل ماذا؟ لقد قلت لتوك إنك لن تحاولي الإيقاع بي... وهل تبقى كلام آخر ليقال؟

أجابت بمرارة: «أحياناً تدفعني لا إلى النفور منك وحسب، بل إلى كراهيتك».

فعرض عليها قائلاً: «يمكننا أن نتجادل حول مسألةٍ أخرى إذا رغبت في ذلك. أمن أحدٍ تقيمين عنده لفترة أسبوعين؟».

فأعلنت بتعقل، رغم أن الإنزعاج الشديد ما زال يتحكم بها: «كلا، وأنا لا أحب أن أفرض نفسي على أي من أصدقائي. وعلى أي حال، افترض أنه لحق بي إلى مكان إقامتي الجديد، فماذا أفعل؟ فنظراً للتجربة السابقة، إنه من الجنون بحيث يقدم على خطف أسرةٍ بكاملها».

- إذاً من الأفضل أن تمكثي هنا، يا أونور.. شكراً يا ماري.

ثم تجاوزها بنظراته، ونهض ليساعد المرأة الأخرى في دفع عربة الطعام.

ووجدت أونور لذةً في التهام نصف فطيرة محارٍ بحريةٍ، قبل أن تجد في نفسها القدرة على الكلام بتحفظ: «ألهذا السبب طلبت مني أن أنيم عندك عندما اتصلت بي هاتفياً في الصباح؟».

- نعم، هذا ما كنت أفكر فيه.

- إذاً، لماذا لم تفصح لي عن نيتك حينها؟

أجابها بتأمل: «لم أرغب بإثارة مخاوفك من غير داع».

فردت عليه بنبرةٍ لاذعةٍ: «هذا ما قاله لي المفتش تماماً، ثم بث كل ما في الدنيا من خوفٍ في قلبي.. حسناً، ليس تماماً..».

بدا عليها الارتباك، ولكنها أشارت إلى راين أن يصمت وألاّ يقاطعها.

«... ولكنك تعرف ما أعني. على أي حال، تخيل العروض التي سأتلقاها من المجلات إذا اكتشفوا إقامتي عندك لفترة أسبوعين».

فنظر إليها بغموضٍ من فوق حافة كأسه، وتمتم: «قد لا يعرفون ذلك أبداً. ولكن، على أي حال، أيهمك ذلك فعلاً؟ من المؤكد أن بقاءك في أمان، خير لك من أن يقبض مارك مارخام عليك».

- ولكن إمكانية أن تقبض أنت عليّ موجودة باستمرار.

وما لبث أن ساد صمتٌ طويلٌ متوترٌ، فيما التقت نظراتهما. وهلعت عندما أدركت أن وجهها وعنقها قد اكتسيا باللون الأحمر الفاضح إلى أن قال لها أخيراً: «ربما من الأجدر أن نشطب هذه الملاحظة من محضرنا يا أونور».

ـ أنا.

قاطعها، متابعاً: «وليس في نيتي أن أجادلك طول الليل. إذا أردت الإحتفاظ بوظيفتك، ستبقين هنا حتى يتم القبض على مارخام»، ويصادف أن التحف البابوية قد وصلتني اليوم، مما يضاعف من حجم العمل هنا».

رجعت إليهما ماري وهي تحمل طبقاً من لحم الضأن المشوي، فبادر إلى القول: «شكراً يا ماري، هل يمكنك أن تحضري لي الهاتف الخلوي، من فضلك؟».

فسألته أونور وهي لا تصدق ما يجري: «ما الذي تفعله؟».

ـ سترين بعد لحظة.

ثم بدأ بتقطيع اللحم، ولكنه توقف عندما عادت ماري مهرولةً بالهاتف الخلوي.

فمد راين يده إلى جيبه وأخرج بطاقة، ثم طلب المفتش الذي جاء لمقابلة أونور، وأخبره أنها، حسب ما اتفق عليه، ستقيم معه حتى إشعار آخر.

كما سمعت يذيب على الهاتف: «نعم، أنا موافق معك.. هذا هو الحل الأنسب، فهذا البيت أشبه بقلعة.. نعم سوف أخبرها».

أغلق الهاتف ثم نظر إلى أونور وقال: «إنه يخبرك أنك اتخذت القرار السليم».

ثم أردف فيما عيناه تجولان على طبق الخضرة الذي جاءت به ماري: «ستبقى أونور عندنا، منذ هذه الليلة يا ماري. وغداً سيصطحبها وارن إلى شقتها لجلب أغراضها».

أجابت ماري بتهذيب: «لقد حضرت لها غرفة الضيوف».

ثم استدارت نحو أونور وقالت لها بحرارة: «إقامتك معنا مدعاةٌ للسرور يا آنسة ليتغارد. وأنا متأكدة من أنك سترتاحين لا سيما بعد أن تتخلصي من التفكير في ذلك الشاب اللعين».

لكن أونور لزمت الصمت حتى غادرت.

ثم قال: «أتحبين أن تطرحي موضوعاً نتحدث فيه، فيما نأتي على ما تبقى من هذا اللحم الشهي؟».

فأجابته بإحكام: «نعم، دعنا نتكلم عن الطقس يا سيد بابلي، أظنه الموضوع الوحيد الذي أرغب في محادثتك فيه».

ضحك بهدوء وتابع: «لا بأس، مهما كانت رغبتك، تذكري استثناءً واحداً، يا أونور.. لا تقدمي على أي مشاريع مجنونةٍ في غيابي. فذلك لن يكون عملاً متهوراً وغير مسؤولٍ وحسب، بل دليلاً على اللاعقلانية النسائية أيضاً. وبكلام آخر، أنتظر أن أجدك هنا عند عودتي».

ـ أوه، ستجدني. ولكن لا تتوقع الاستمتاع بذلك

فرد عليها متذمراً، بعد أن وضع سكينه وملعقته جانباً. ونهض من مكانه: «لقد كنت أكثر لطفاً عندما كنت منعزلاً على جزيرة معي، وإذا سمحت لي، فما زال أمامي العديد من الأعمال التي يجب إنجازها. وأنا متأكد من أن ماري قد حضرت لك بعض الحلوى. ليلة سعيدة يا أونور. وتصرفي وكأنك في بيتك».

ثم سار مبتعداً عنها.

***

تقع غرفة نومها في الطابق العلوي من المنزل، وتكشف عن شرفةٍ تمتد حول الطابق بكامله، وتطل على حوض السباحة. يتبعها حمامٌ خاص، وتحوي سريراً من الحجم الملكي، مع غطاءٍ جميلٍ من الطراز القديم، إضافة إلى سجادةٍ مخمليةٍ وستائر من اللون الأصفر.

أعارتها ماري ثوب نوم. ولما دخلت الحمام، ألفته مكسواً بالرخام الأبيض، ومجهزاً بكافة المستحضرات العطرية، هذا إلى فرشاة شعرٍ من

اللون الفيروزي، ومشط، وثوب حمام من اللون البرتقالي.

لكن لا شيء من كل هذا أدخل الراحة إلى قلب أونور. بل اكتفت بالاستلقاء بمفردها في الظلام، وهي فريسة اضطراب غامض وغريب.

وفجأة، وجدت نفسها تفكر في الأسباب التي تدفعها إلى هذا القدر من الاستقلالية. ذلك يعود ربّما إلى نشأتها على يد والد فقط، هذا الوالد الذي كان، هو نفسه، استقلالياً وقوي الشخصية.

ترى، هل تكوّن هذا الجزء من شخصيتها حينذاك؟ هل دفعها افتقارها إلى علاقة حبٍ ناضجةٍ في حياتها، إلى هذه المثاليات؟

ولكن أي صورة ستتخذ علاقة حبها مع راين؟ هل سيحتفظ دائماً، بذلك الجزء، الذي أبداً لن تبلغه أي امرأة؟ ماذا لو وقعت في شباكه ثم رأت أنه ليس بالرجل المناسب؟ ولكن، لماذا تراها تفكر حتى على هذا النحو؟

* * *

مضت ثلاثة أيام على غيابه، شعرت أونور فيها بهدوءٍ واطمئنانٍ، لم تدرِ لهما سبباً.

عملت خلال النهار على فك صناديق التحف البابوية في غرفة المكتبة، فأخرجت منها بحرص مجموعةً من الأقنعة، وأغطيةً للرأس غريبة الشكل، إضافةً إلى منحوتات وأسلحةٍ وأوعيةٍ وسلال وهياكل. أمضت وقتها وهي تفكر كيف تعرضها. وفي الوقت ذاته، انكبت على تحضير شرح دقيق ومفصل عن كل قطعةٍ.

أما في الأوقات الأخرى، فمارست السباحة، واهتمت بالقراءة. وجذبها شعورٌ غريب إلى حديقة راين بأزهارها وشتولها وأشجارها وخمائلها المتنوعة والغريبة.

وتدريجاً، توصلت إلى معرفة أقسام بيته، الذي ينعم بجوٍّ من الانتعاش، رغم الطقس اللاهب في الخارج. وقد وزعت مجموعته الفنية فيه بشكل جميل. كما أمضت بعض الوقت مع ماري في المطبخ المجهز

بأفضل آلات التكنولوجيا وأحدثها. وبادلتها تحضير الوجبات والوصفات.

وفي أحد الأيام، كانت منكبة فوق أحد الصناديق، لإخراج قناعٍ من قفصه الخشبي، عندما عاد إلى المنزل. كان الصوت الذي أحدثه عند الباب، أول إعلانٍ لقدومه. فعمدت إلى طرح القناع من يدها بحرص، ثم استدارت مترددة وهي عاجزة عن مداراة ارتباكها بالكلمات.

كان مرتدياً ملابس رسمية، أي بذلة وربطة عنق. فيما نظراته تطوف عليها، وتتفحص القميص الحريري، والسروال الطحيني القصير، ثم انتقل إلى ساقيها الطويلتين، أضف إلى اللون الذهبي الذي وشح بشرتها بعد أيام قضتها إلى جانب بركة السباحة.

كأن هو البادىء بالكلام، مجرد سؤالٍ بسيط: «أونور؟».

ـ أنا...

غير أنها لم تستطع المتابعة. فما كان منه إلا أن تقدم إليها ببطء، ووقف أمامها، واضطرت إلى رفع رأسها لتنظر إلى عينيه، فيما يداها مشبوكتان معاً. وعندها، قال لها بصوتٍ بالكاد يُسمع: «هل تسمحين لي؟».

ولكنها لم تملك جواباً، فقد أدركت بغتةً أنها، للمرة الأولى في حياتها، وقعت في أسر انجذاب لم تستطع محاربته بالكلمات، أو التفكير بأي أفعال تخلصها منه، لا سيما عندما أحاطها بذراعيه وراح يعانقها بشغف.

وكان هذا الإنجذاب، حسّاً شديداً استولى عليها، استبدّ بها حتى تحول إلى تجربةٍ لم تختبر مثلها من قبل. فقد وقعت تحت تأثير الانخطاف الذي بعثه فيها عناقه الحميم. وتدريجاً، صار حاراً ومشدوداً وطاغياً في رجولته، مشاعر وصل صداها إلى أعماق أنوثتها.

عندما رفع، أخيراً، رأسه عنها نظر في عينيها، وقال برقة: «هل ستصفعينني بعد هذا يا أونور؟».

فأغمضت عينيها قليلاً، ثم تكلمت بهدوءٍ تامٍ وكبرياء: «كلا، كما إنني لن أدعك تتمادى معي».

ومضت عيناه وهو يحدق فيها، ثم أمسك وجهها بكلتا يده، تاركا إياها تتساءل هل البريق في عينيه، ومضة إكبار.

وما لبث أن رد عليها: «إذاً لندع الأمور على حالها».

أفلتها من بين ذراعيه، ثم جال بنظره على المكتبة والتقط القناع الذي كان بيدها لحظة دخوله.

- يبدو أنك ألقيت نظرة على التحف والأثريات. ما رأيك بها؟

فأثرت: «لقد أثارت اهتمامي فعلاً».

فأرجع القناع إلى مكانه، ثم سار بين القطع التي أخرجتها من الصناديق.

- الوزير حريصٌ جداً على إقامة معرض. وأنا أفكر في عرضها في قاعة الطابق الأرضي من المبنى، كي يسهل الدخول على مرتادي المعرض، أضف أن حراس الأمن في هذا الطابق يعملون بدوام كامل.

- فكرةٌ جيدة. ولكن تحتاج إلى أقفاصٍ زجاجية. وبالمناسبة، كيف حال الوزير؟

- يرسل لك تحياته، ويأمل أن تكوني قد تعافيت من حادثة الاختطاف.

- شكراً، فهمت أنك سافرت إلى هناك بداعي أعمال الجسر؟

- نعم.

- أعلم أن سؤالي قد يكون سخيفاً، ولكن هل حدث أن بنيت جسراً من قبل؟

فحدق فيها بدهشة: «بنيت عدة جسور، لماذا تسألين؟».

- لا أدري، إنه مجرد سؤال. ولكني سمعت عنك في مجال المباني وحسب.

تأمل قليلاً ثم أجاب: «إن أول مشروع كبير نفذته، كان بناء جسر.

ولهذا تريني متحمساً لهذه المشاريع. أما هذا الجسر، على أي حال، فسيكون امتحاناً هاماً لقدراتنا في السوق، خاصة أن موقعه يعتبر بعيداً حالياً. سأذهب وأبدّل ملابسي. ثم، أعتقد أني أستحق جلسةً على السطيحة، حيث أتمتع بغروب الشمس، فهل ترغبين في الانضمام إليّ؟

التقت نظراتهما للحظاتٍ، قبل أن تجيبه ببرودة: «نعم، شكراً لك».

ومع ذلك، لم يقدم على ذكر لقائهما العاطفي في المكتبة.

حتى خلال تناولهما الشراب عند الغروب، لم يتطرق إلى أي أمور شخصية: «هل من أخبار عن صديقنا مارك مارخام؟».

- كلا، يبدو أن الأرض انشقّت وابتلعته. لقد اتصلوا البارحة ليؤكدوا لي أن مذكرة بحث ونحرٍ صدرت بحقه، أما حين سألتهم عن يخت ساندرا لي، فقالوا إنهم لم يجدوا أثراً له.

- ستفتقد إليه، على ما أعتقد.

- نعم، ولكن يمكن تعويض المراكب. هل ترغبين في مشاهدة الأخبار قبل تناول العشاء؟ ففي الأيام القليلة الماضية، ابتعدت كثيراً عن مجرى الأحداث.

- كما يحلو لك..

* * *

وهكذا شاهدا نشرة الأخبار، ثم تناولا عشاءً هادئاً، كل ذلك ضمن جوٍّ عمليّ لا يمت إلى الأحاديث الشخصية بصلة. وشعرت أونور برغبة في قرص نفسها. هل هي تحلم؟ أهذا هو الرجل الذي عجزت عن مقاومة جاذبيته منذ ساعات قليلة مضت؟

تمدّد راين على الأريكة، بسط ساقيه الطويلتين أمامه، وبيده جهاز التحكم عن بعد. فتابع أسئلته: «ألا تشعرين بالوحدة أبداً؟».

- كلا، ما عانيت هذه المشكلة. أخبرني، لماذا علقت هذه اللوحة في هذا الصالون؟ وأنا التي توقعتها في غرفةٍ شخصيةٍ خاصة...

ثم توقفت عن الكلام بغتةً، فيما استدار نحوها وهو يضحك ويرد

عليها بتكاسل: «لقد عملت بنصيحتك، وقررت ألا أتباهى بلوحتي التي رسمها سيسلي. كما أن هذه غرفة الجلوس التي أمضي فيها وقتي معظم الأحيان، مما يعني أني سأتمتع بمشاهدة اللوحة لأطول وقتٍ ممكن. وعلى أي حال، ساورتني رغبةٌ في وضعها في غرفة نومي، ولكني جزمت أن في ذلك امتحاناً قد يفقدني التحكم برغباتي قليلاً».

فظهر العبوس على وجهها، وترددت ولكنها لم تجد مناصاً من الوقوع في الشرك: «هل أنت حقاً تعاني تلك المشكلة معي؟».

فرد عليها مناوراً: «هل تبادلين الرجال العناق الذي منحتني إياه، إلا إذا كنت تعانين.. من «تلك المشكلة» معهم؟».

فأجابته بإيجاز: «كلا».

- إذاً؟

رمقته بنظراتٍ باردة وردت: «إنسَ الموضوع».

أضاف ساخراً: «وبكلام آخر، أنت ما زلت تتصارعين مع اختلافاتنا».

فأثرت بعد أن تدبرت إضفاء نبرة عدم اكتراث في صوتها.

- نعم، هذا صحيح.

فتمتم متذمراً: «لا بأس، ولكن أرجو أن تعطيني تقريراً عن التقدم الذي تحرزينه في هذا الأمر».

ثم راح ينتقل من محطةٍ إلى أخرى على التلفزيون.

وبعد ساعتين، تثاءبت أونور، فنهضت وأخبرته أنها ستذهب إلى الفراش، فنهض بدوره، ورافقها إلى الطابق العلوي. ولمّا وصلا إلى باب غرفتها أولاً، توقفا عنده حيث تمنت له ليلةً سعيدةً. وإذا بها تتشنج بعد أن أطبقت أصابعه على خصرها.

فقال لها بلهجةٍ جافةٍ وقد رآها تنظر شزراً إليه: «لا تجزعي، لست على وشك القبض عليك يا أونور».

ثم أضاف بلطفٍ قاتل، بعد أن أرخى أصابعه عن خصرها: «تصبحين

على خير يا عزيزتي».

أغلقت باب غرفتها، واستندت عليه، وبدأت الأفكار تجتاحها رغماً عنها. فاستعادت ذكرى الليلتين، عندما ناما، الواحد بين ذراعي الآخر.

فكرت وهي تشعر بفراغ شديدٍ في داخلها: «يا للمنة، أقحمت نفسي في دوامةٍ مريعة. كم كان الأمر سهلاً حين كانت مشاعري تجاهه تقتصر على الغضب الشديد!».

وقد سنحت لها الفرصة، مصادفةً، في اليوم التالي.

فقد تقابلا، لوقتٍ قصير، خلال تناول الفطور، وأكدت له حينها الجواب على سؤال طرحه عليها. فهي لن تغامر بالخروج من المنزل، وستكون منهمكةً بتنظيم التحف البابوية لمدة يومين.

رد عليها: «جيد، أما أنا، فسأتنيب طوال اليوم».

ولم ترد على هذا الإعلان بأي كلمة.

ولكن، عند العصر، سعت إليها ماري في المكتبة وطلبت منها أن ترافقها لتتفقد غرفة الطعام.

سألتها أونور: «طبعاً، ولكن.. لماذا؟».

- لقد رتبتها بطريقةٍ جديدة، لكني غير متأكدة تناسق الألوان. وفكرت في أنك، بخبرتك الفنية يا آنسة لينفارد، ستساعدينني في ذلك.

بدت على أونور الحيرة، ولكنها امتثلت لماري، ولحقت بها إلى غرفة الطعام الرسمية. وإذا بها تجدها ممدة لحفلة عشاء. فالطاولة الدائرية الزجاجية الكبيرة مكسوةٌ بغطاءٍ من الحرير الدمشقي المطرز وقد تراصفت حولها ثمانية مقاعد، إلى جانب كل منها منديل أبيض وطقم فضي من السكاكين والملاعق والشوك، وإناءٌ فيه ورود حمراء، بتوسط المائدة.

فتمتمت أونور بصدق: «إنه تناسق جميل يا ماري، هل..؟ هل

ستقام حفلة عشاء هذه الليلة. . ؟».

ردت عليها ماري بابتهاج: «نعم وحسب ترتيب الاسماء، وسوف تجلسين هنا، يا آنسة لينغارد، مقابل السيد بابلي».

شهقت أونور وقالت: «هل قال إني سأحضر العشاء».

ـ لِمَ تسألين؟ طبعاً! ألم يخبرك؟

حاولت أونور جاهدةً السيطرة على أعصابها وأجابت: «كلا، لم يفعل».

فأعلنت ماري من دون أن يبدو عليها أي ارتباك: «لا شك في أنه نسي ذلك، فالكثير من الأعمال تشغل باله، أليس كذلك؟ ولكن الضيوف لن يصلوا قبل السابعة والنصف مساء، وما زال أمامك الوقت الكافي لتعدّي نفسك. أتريدينني أن أقوم بكيّ ملابسك أو. . ؟».

ـ كلا، شكراً لك يا ماري، ولكن، لسوء الحظ، لن أتمكن من الحضور، أنا أعتذر لأنني سأكلفك مشقة إعادة توزيع الأسماء، ولكنني أفكر في تناول العشاء خارج المنزل الليلة.

فجأة، تناهى إلى سامعها صوت من ورائها يقول: «أوه، كلا، لن تفعلي ذلك يا أونور».

فاستدارت بسرعة وعيناها تومضان بالغضب، ثم قالت بفظاظة: «لا تستطيع أن تحتجزني هنا كسجينة يا راين بابلي، وليس باستطاعتك أن تعلن على الملأ أني أقيم معك هنا. . كيف تجرؤ على ذلك؟».

فأجابها بلهجةٍ جافة: «لسوء الحظ، لا أستطيع العيش كناسكٍ يا أونور. وقد خططت لهذا العشاء منذ بعض الوقت، إضافة إلى ذلك. . ».

والتقط أنفاسه، ثم نظر إليها من رأسها حتى أخمص قدميها، قبل أن يتابع: «. . لقد شوهد شخصٌ تماثل أوصافه أوصاف مارك مارخام يتوارى في الشارع الذي تقيمين فيه، ولهذا لن تخرجي الليلة إلى أي مكان، إلا إذا كنت مجنونةً فعلاً».

* * *

٦ ـ هربت إليه

كانت أونور وحيدةً في غرفة نومها، هذا الملاذ الذي انسحبت إليه مسرعة. ولم تكد تمضي ثلاث دقائق، حتى دخل عليها راين مباشرةً، من دون أن يقرع على الباب، وأغلقه خلفه.

كانت تقف أمام الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الشرفة، تتأمل المناظر التي تطل عليها، وذراعاها تلتفان حول جسمها. وإذا بها تستدير مسرعة، لتصب عليه نظراتها الناضبة.

كان قد خلع سترته، ورفع أكمام قميصه، كما حلّ ربطة عنقه الزرقاء. ولكن ذلك لم ينقص من هيبة مظهره القوي والمؤثر ذرة واحدة.

قالت له: «لا يحق لك الدخول إلى هنا، حتى لو كان المنزل منزلك!».

فأجابها بتهكّم: «أستميحك عذراً، أيعود انفعالك هذا إلى خوفك يا أونور؟ أعني خوفك من مارخام بالتأكيد؟».

ردت عليه بارتباك: «بالطبع أنا خائفة من التفكير فيه، يتسكع في الشارع الذي أقيم فيه. ولكن لا، لم يكن الخوف أول ردة فعلٍ لي، ولا كان سبباً لها، لقد أخبرتك. أرفض أن يعلن على الملأ أنني أقيم في منزل العازب الذي تسعى وراءه أكثر نساء الولاية. ومهما قلت، ومهما حاولت أن توضح الأمر سيثرثر الناس دائماً حول هذا الموضوع، وسيطرحون الكثير من الأسئلة. ولو كنت مكانهم، لما فعلت غير ذلك».

وأنهت كلامها بفكرةٍ، صبّت فيها نفساً كئيباً: «. . إنها طبيعة

البشر».

فرد عليها متأملاً: «أونور، بات الناس يثرثرون عنا بالفعل».

- من..؟ هل تقصد ذلك الرجل المجنون؟ إنه رجلٌ واحد وهو..

وما لبثت أن غيرت مجرى حديثها لتسأله: «من غيره؟».

فأجابها برقة بالغة: «عزيزتي أونور، باستطاعتي أن أؤكّد أنه منذ لحظة خروجك من مكتبي للمرة الأولى كالعاصفة، ونحن محور الأحاديث في العمل. هذا من دون ذكر ظهورنا معاً على شاشة التلفزيون».

وبمنطقٍ يثير الغيظ الشديد، بيّن لها: «وإلى جانب ذلك، هم على حق».

- ولكن

- هم على حق بشأن الانجذاب الذي يجمعنا. وفي الواقع، لا يبقى على الأرجح، إلا إنسانٌ وحيد يشك في هذه الحقيقة، هو أنتِ.

فصرّت أسنانها وقالت بمرارة: «على العكس، قد أكون الإنسان الوحيد الذي يعتبر محقاً. ولكن اسمعني جيداً، مهما بلغت التكهنات، ففي اللحظة التي يعرف فيها أنني أقيم هنا، سوف أوصم إلى الأبد كإحدى نسائك!».

فمنحها ابتسامة باهتة ومباغتة. «أو ربما تذهب الأقاويل في الاتجاه المعاكس».

- ماذا تعني؟

- قد أوصم أنا، إلى الأبد، كأحد رجالك.

ردت عليه بازدراء مطلق: «ما قلته الآن.. سخيف بامتياز!».

- لماذا؟

- حسناً.. حسناً، أحد الأسباب، أنني أنا التي أقيم في منزلك.

فعلق على كلامها، وهو يرفع حاجبه متذمراً: «أما من كلماتٍ أخرى تتفوهين بها غير تلك التي لا تنفكين ترددينها على مسامعي؟».

فأصدرت صوتاً يدل على الاشمئزاز، وأشاحت بوجهها منزعجة.

أما هو، فتابع كلامه: «ومن جهةٍ أخرى، الأشخاص الذين سأحتفي بهم الليلة هم رجال أعمال من اليابان، ولم يمضِ أسبوعٌ على وجودهم في أوستراليا. أما معرفتهم باللغة الإنجليزية، فضعيفةٌ ومحدودةٌ ولا أستطيع أن أتخيل أن الستة سيهرعون، ويعلنون على العالم بضع أقاويل محلية.. وعلى أي حال، هم، بطبيعتهم، مهذبون جداً. هل تدرين يا أونور أني، أنا على وجه الخصوص، لا أريد بدوري أن أعلن عن وجودك هنا، حتى يتم القبض على مارخام. مع أنه، بالطبع، سيستنتج في النهاية، أنك تقيمين هنا».

فأخذت أونور ترفع يديها في الهواء وهي تكاد تصرخ: «لماذا لم تقل ذلك قبلاً؟ لماذا..؟».

تمتم وقد ارتسمت على محياه ابتسامةٌ جذبة غريبة: «أنا أتمتع دائماً بالاستماع إلى خطبةٍ تُلقينها عن حكمتك العظيمة، ورأيك الجليل في علاقتنا. وأحياناً يعسر من الصعب الحصول منك على كلمة هادئةٍ واحدة».

فأنكرت ما قاله بقوة: «هذا كلام فارغ. أنت تستمتع بالإيقاع بي بكل بساطة!».

- وهذا أيضاً.

فحدقت إليه، ثم جلست على السرير بغتة، وتلعثمت والذهول يكسو وجهها: «أنا.. أنت... أنا حقاً لا أعرف لماذا أتحملك».

رد عليها برباطة جأش: «بلى تعرفين يا أونور. ولكن اصرفي النظر عن ذلك، فخياراتك محدودةٌ حالياً. لمَ لا تتبرجين قليلاً وتنضمين إلينا في الأسفل؟ أعتقد أنك تتكلمين اللغة اليابانية، أليس كذلك؟».

فأجابت بمرارة: «بطلاقة».

- حسناً إذاً، إضافة إلى ذلك، يعتبر اثنان من هؤلاء الرجال خبيرين في الفنون الجميلة، وقد أحضرا معهما بعض اللوحات المرسومة على حرير ياباني. ولهذا، افترضت أنك ستستمتعين بهذه الأمسية، وتتخلصين من

www.elromancia.com

السأم الذي تشعرين به بسبب... احتجازك هنا.

ورغم أنها لم تكن تنظر في المرآة، إلا أنها شعرت أن التورد يغزو خديها، فأخفضت رأسها، ثم نظرت إليه مباشرةً وقالت بصوتٍ خشن: «أرجوك، أخرج من هنا! فأنا لا أستطيع... التعامل معك في هذه اللحظة».

استقام، وأنهى المحادثة بنهكم رقيق: «حسناً. هل ستنزلين إلى العشاء أم لا؟ واعلمي أنه باستطاعتك دائماً تناول العشاء في غرفة نومك في حالةٍ من العزلة والرزانة».

ولما تشابكت نظراتهما، كانت أونور قد استردت رباطة جأشها، فأجابته: «نعم، سوف أنزل».

ـ عظيم.

ثم ابتسم لها قليلاً، وخرج من الغرفة. أما هي فاستولى عليها شعورٌ عارمٌ بالهزيمة.

وفي النهاية، التحقت بالمدعوين إلى مائدة العشاء.

كان الليل يقارب انتصافه عندما انحنت وسمياً ست مرات، إلى أن انسحب رجال الأعمال اليابانيون إلى سيارة الليموزين الطويلة، وقد كانت بانتظارهم لتعيدهم إلى الفندق. فظلت واقفة إلى جانب راين، حتى استدارت السيارة نحو الممر وتوارت عن أنظارهما.

ثم إستدار نحوها وقال: «إنها أمسية ناجحة جداً، يا أونور. أنت فعلاً ورقة حظ رابحة».

فأجابته بلهجةٍ جافة ومملة: «بل كنت روح الحفلة ونبضها. أنا لا أظن أني سأمتهن الترجمة، فهي عمل شاق ومرهق، ولكن كيف تقول إنها ناجحة، وأنتم لم تتباحثوا في أي أعمال».

ـ أوه، ولكننا سنتباحث مستقبلاً، وشكراً على جهودك.

فاستفهمت منه باستهزاء: «أهذا يعني أنني رجحت كفة جسرٍ آخر؟».

نظر إليها وأجاب: «إذا سمحت لي بدعوتك إلى شرابٍ أخير،

فسأقص عليك التفاصيل. في الواقع، أنا سأسبح ثانية، فالجو حار جداً».

ترددت أونور وهي تتساءل في نفسها أياً من الخيارين أسوأ. أن تستلقي وحيدةً في غرفتها في هذه الليلة الخانقة، وتنصت إليه فيما يسبح. وهي تتمنى لو تغمرها المياه أيضاً؛ أم أن ترافقه.

ثم تمتمت أخيراً وهي تشعر بقدر من العجز: «أنا موافقة».

وهكذا، صعدا إلى الطابق العلوي حيث خلعت الفستان الأسود، ثم ارتدت لباس السباحة.

بعدئذٍ، ادثرت بثوب الحمام الزهري، والتقطت منشفة. ثم نزلت السلالم بخفة، وخرجت إلى الباحة التي كانت تسبح في ضوء القمر الأبيض.

وصلت قبله، فانسلت إلى البركة، وتلذذت بإحساس الماء يلامس جسدها. وبعد دقائق قليلة، غطس راين في الحوض.

سرعان ما خرجت من الماء، وتركت النسيم الخافت يتلاعب على جسدها لبضع دقائق، قبل أن تلفه بالمنشفة، وتتمدد على مقعد طويل. فما كان من راين إلا أن حذا حذوها، وقدم لها كوباً كبيراً، قائلاً: «عصير مانجا وأناناس، وهو مفيد جداً للبشرة، على ما أعتقد».

فشكرته وهي تشعر باسترخاء عجزت عن التحكم به، لا سيما حين هدأت تموجات ماء البركة تدريجاً، وتأملت، عبر الحديقة انعكاس ضوء القمر على مياه النهر، ثم استنشقت عبير الياسمين الذي حمله النسيم إليها.

ـ بالمناسبة، لقد عثروا على ساندرا ـ لي، غارقةً على عمق ثلاثين متراً.

فنظرت إليه وإذا بفمه منقبض، فقالت له بهدوء: «أنا آسفة، هل يعني ذلك أنه يستحيل انتشالها؟».

ـ نعم، ومن سخرية القدر أن ساندرا جاءت لزيارتي اليوم، وعندما أخبرتها بالأمر استاءت جداً.

- ولكنك قلت . .

- نعم، فهي لم تحب اليخت قط، كما لم تحب أي مركبٍ آخر. ولكنها، في الظاهر، راق لها أن أسمّي المركب تيمناً باسمها، وقالت لي . . . إن ذلك يبدو كانقطاع الرابط الأخير الذي يجمعنا.

علّقت أونور ببطء: «لا أعرف ماذا أقول».

فرد عليها: «لست مضطرة لقول أي كلمة».

- إذاً، لماذا أخبرتني بما جرى؟

فاجتاحت وجهه نظرةٌ غامضة وقال: «في الحقيقة، لم أكن أخبرك. بل . . كنت فقط أفكر في صوتٍ مرتفع. ولكن بما أني فعلت، فسوف أكمل. أنا أتمنى، لصالحها، أن يكون ذلك آخر ما يربطنا معاً. وحالما تتغلب على استيائها، ستشعر أنها تحررت من حبها لي أخيراً. ماذا أخبرك أيضاً؟ آه، نعم . . رداً على سؤالك، لا، أنت لم ترجّحي كفة جسرٍ آخر، ولكن قمتِ بتثبيت الحجر الأخير في توقيع عقد شراكة، مع اتحاد شركات ياباني، من أجل بناء مرفأ لليخوت، وقرية للتسوق».

لم تنبس ببنت شفة، بل ارتشفت شرابها، ثم تمتمت بغتةً: «هل . . تشك هي في أمرنا؟».

- على الأرجح، ولكنها لم تذكر ذلك.

وما لبث أن توقف والتقط أنفاسه ثم تابع: «أونور . . لمَ لا تخبريني عن الدوافع الحقيقية التي تحيل ما بيني وبينك؟ هل السبب ساندرا؟».

فتنفست عميقاً كي تسيطر على أعصابها، وأجابت: «لا. نعم . . أقصد، أن المرء يعجز ألا يفكر فيها، لا بمشاعرها فحسب، بل في حياتها معك أيضاً. أتعرف، أحياناً من المستحيل . . . ».

ثم توقفت عن الكلام وقد أدركت أنها، للمرة الأولى ربما، تفصح عن مخاوفها بصورة متماسكةٍ وغير انفعالية.

ثم واصلت كلامها ثانية: «من المستحيل أحياناً الفصل بينك، كرجل أعمالٍ ديناميكي شديد متسلط، وكرجلٍ بصورة بحتة. ولا أستطيع إلا أن

أتساءل إن كان من الممكن التغاضي عن هذا الجانب منك بالكامل، وهل ستحمل أي امرأةٍ لقب زوجتك في يوم من الأيام. كما أنني أفكّر في وضعي شخصياً، ولكني أخبرتك عن ذلك».

فرد عليها بتبرم: «لنفترض أنني كما تقولين، ألا تجد كل امرأةٍ تتمتع بالإستقلالية وتثمن حريتها، هذه الحالة، وضعاً مثالياً؟».

فاستدارت نحوه، ثم سألته: «إذاً، أنت تنكر عنك هذه التهمة؟».

- أنا لم أقل ذلك، بل هو مجرد . . تنظير.

فردت عليه بنبرةٍ لاذعة: «لا جدوى من التنظير بوجود معطياتٍ مجهولة. هل أنت من هذا النوع من الرجال أم لا؟».

فابتسم متحسراً وفي عينيه نظرةٌ مختلفة، شعرت أنها تستهدفها بصورةٍ مباشرة، ثم أجاب: «لا أعرف».

- حسناً يا راين بايلي، عندما تتوصل إلى معرفة ذلك أخبرني، ولكن إذا كنت تعتقد أنني سأجازف بالوقـ . . .

وسرعان ما قطعت كلامها بغتةً، وهي تعض على شفتها، فأكمل رابن عنها: «تجازفين بالوقوع في حبي؟ أتعرفين، أنا أعتقد أن هذه المشاعر تولد بغض النظر عن . . كل أنواع المعطيات، المجهولة منها وغير المجهولة».

- لا تراهن بحياتك على هذا، إذا كنت تتكلم عني.

فضحك برقة ورد بتكاسل: «مجرد أنك اختبرت رجلين غير مناسبين حتى الآن، لا يعني يا أونور أن باستطاعتك أن تأمري عقلك وقلبك بالابتعاد عن الحب لبقية حياتك».

فأوضحت بمزيجٍ من البرودة والامتعاض: «كما أنه لا يعني أنك الرجل الذي سأقع فيّ حبه، من يملك المؤهلات ليقول إنهما كانا غير مناسبين البتة؟ ومن أنت بالذات لتقول ذلك؟ فأنت لم تقابلهما».

- لا. ولكن باستطاعتي أن أتخيل ما هما عليه.

- حسناً، هيا، إفعل ذلك!

فرفع حاجبه متهكماً، وقال: «ولكن تذكري دائماً أنك أنت من طلب ذلك. دعينا نرى.. هما يقاربانك سناً تقريباً، تخرجا من المدارس الرفيعة المستوى واعتادا التردد إلى باليمور، قلب مجتمع بربسبان الراقي، حيث يلتقيان بالأصدقاء القدامى ليتشاركوا في لعبة كرة الركبي أو يشاهدوا مباراة منها. ويعرف عنهما عادةً أنهما من أولئك الشبان الوسيمين، هذا إذا لم نقل الموهوبين والمتحدثين الماهرين. أما إن ذهبت بعيداً في تخيلاتي، أقول إنهما يمتهنان المحاماة والأعمال القانونية، وهي ربما نقطة ضعفك تماماً كحبك للفنون، نظراً إلى مهنة والدك.. وبالطبع كانت الأنظار تتجه إليك، في حياته، على أنك غنيمة مهمة.. أترينني موفقاً في تحليلاتي حتى الآن؟».

فحدقت أونور إليه، وفمها مطبق، ولكن وجهها، من دون شك، كان شاحباً، وفي عينيها الداكنتين لمعان مخيف.

ـ لا، بل أنت...

لكنه لم يدعها تنهي كلامها، بل قال لها برقةٍ وبتهكم في آن: «على الطريق الصحيح، وأنا لم أنته من كلامي بعد، يا عزيزتي أونور. ولما كان لأي من هذه الأمور أهمية، لو أنهما يملكان النضوج الكافي والقدرة على إثارة أحاسيسك، فيما..».

توقف عن الكلام لحظة، ثم نظر إليها وأضاف: «... كل ما فعلاه هو أنهما كوّنا في داخلك إحساساً بعدم الرضا. وهذا ما أدى إلى مضاعفة تلك النظرة المتعالية والمتغطرسة التي تكنينها للرجال».

ففغرت فاها ثم قالت: «أنا لست كذلك!».

ـ أتقولين إنه لم يخطر على ذهنك مرةً بأن السبب هو شخصيتك التي يتعذر على أيٍّ منهما تقبلها؟

فردت والذهول يجتاحها: «أتقول إنني أحتاج إلى من يمسك بزمامي؟ في هذه الحال، أنا مضطرة إلى الإجابة أنني أحتقر هذا النوع من التشدق كما أحتقرك تماماً!».

فتمتم بضحكةٍ خافتة: «أنا أعرف أنك تخفين فيك من أنوثة ما لا تدركينه. أما ما كنت أحاول قوله، فهو أنك لامعة، وأنك جميلة، تفيضين بالحيوية، إلا أنك ضيّعت نفسك مع شبان وسيمين ولطيفين وجذابين، يملكون كل وثائق الاعتماد الصحيحة، على ما يبدو، إلا أنهم ببساطة لا يلائمونك جسدياً وعقلياً».

فردت عليه باشمئزاز، وهي تشيح بوجهها ناحية النهر: «أنت لا تقوم إلا بترداد أقوالك بكلماتٍ مختلفة».

فصمت قليلاً ثم أجابها: «ولكنها صحيحة».

تنهدت ثم قالت بإيجاز: «أنا لا أعرف كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج، وأتمنى ألا يأتي يوم أكتشف فيه أنك كنت تنقّب عن معلوماتٍ من حياتي الخاصة...».

ـ أنا لم أفعل ذلك.

ـ إذاً، لا بد أنني شفافة جداً.

لكنه سكت عن الجواب، فأضافت: «وما يدهشني، أنه، على ضوء شفافيتي، وعجزي عن اختيار الرجل المناسب...».

ثم رمقته بنظرة واهنة، وتابعت: «... ما زلت تثابر معي».

فرد عليها بتكاسل: «يجب ألا يدهشك الأمر».

وسكت قليلاً قبل أن يتابع: «أتعرفين يا أونور؟ أنت تحولين علاقتنا إلى منافسة.. فما من شيء يمكن أن يجذبك أكثر من التحدي، وأنا سعيد تماماً بمسايرتك لأنني متأكد من أن الخاتمة ستكون صاعقةً في تأثيرها».

فأنزلت ساقيها من فوق المقعد، وقالت في صوتٍ خافتٍ ومتوتر: «أنا أكره طنين كلماتك في أذني لمعلوماتك. إنها.. إنها محقرة ومهينة و...».

لكنها عجزت عن الاستمرار في الكلام.

فما كان منه إلا أن بادرها بفظاظة: «لا، ليست كذلك. بل أنا أقر بحقيقة جبلتِ عليها أنت، وجبلت عليها أنا أيضاً».

ـ ولكني أعتقد...

وما لبثت أن وقفت بغتةً وهي تشعر بالاندفاع لضرورة التفوه بالحقيقة المرّة: «اسمعني..! إذا أردت أن تعرف الحقيقة، فأنا لا أدري ما هي معتقداتي فعلاً. ولكني عاهدت نفسي، ذات مرة، ألا أستسلم إلى رجل آخر إلا إن كانت العلاقة مبنية على أساس واضح وإلا لن أرضى بأي تنازل. ولكن إذا علاقات الحب هذه لم تطرق بابي، فحينها..».

وإذا به ينهض من مكانه هاتفاً: «أونور.. كيف، بحق الله، يجدر بالرجال أن يعرفوا موقفك فيما أنت تحصنين نفسك بمثل هذا التشدد والحزم؟».

فحملقت فيه وقالت: «هذا من.. هذا شأني!».

فبدت عليه السخرية ورد قائلاً: «لا بأس، وما من داعٍ لهذا الدفاع، كما تعرفين».

ـ حسناً، ولكن من المؤكد أنك لا تساهم إلا في إغاظتي!

فرد عليها بعد هنيهة صمت: «لماذا؟ ألأنني لم أجثُ على ركبتيّ وأقسم لك بالحب الأبديّ؟ أو لأنني أستطيع أن أسبر أغوارك جيداً؟ وبالمناسبة...».

فقطب جبينه واتسعت عيناه بنظرةٍ ذاهلة مفاجئة، قبل أن يتابع: «... هذا غالباً ما يكون أفضل بكثير من معظم الشواهد العاطفية والغرامية».

فحدقت فيه لفترةٍ بدت دهراً، ثم قالت بنبرةٍ خشنةٍ وجوفاء غريبة.

ـ المشكلة، هي أنني، فعلاً، لا أعرفك على الإطلاق. لا، لا تقل المزيد.. أنا سأذهب إلى الفراش... بمفردي.

رد عليها متحسراً: «حسناً، وإذا كان في ذلك عزاء لك، سأسبح ثانية قبل أن أحاول.. الخلود إلى النوم».

* * *

في صباح اليوم التالي، توقفت أونور عن تصنيف الآثارات البابوية، ثم اتكأت بمرفقيها على طاولة راين بابلي وأسندت ذقنها بين يديها. وتركت الأفكار السوداوية ترتحل بها بعيداً. لن تستطيع حتى أن تسافر

خارج البلاد، فجواز سفرها قد انتهت صلاحيته. فضاعت منها الطريقة الوحيدة التي قد تشعرها بالأمان بعيداً عن مارك مارخام.

وكانت قد عزمت على الإهتمام به منذ شهر تقريباً، كي تستعد لقضاء عطلتها المنتظرة في جزر فيجي بعد حوالي شهرين.. ولكنها نسيت الأمر.

ـ لو أعرف في ماذا تفكرين؟

تناهى الصوت المألوف إلى مسمعها من مدخل المكتبة، فاستدارت نحوه. وقالت بلهجة لا تنم عن لطفٍ جمّ: «أوه، سيد أولدفيلد، ماذا تفعل هنا».

خطا براد أولدفيلد إلى داخل الغرفة وهو يقول: «ياه! يا آنسة لينغارد، هل من إنسان لا تعجزين عن طرده من تفكيرك؟ دعني أتكهن. راين؟».

ردت عليه ببرودة شديدة: «وما الذي يدعوك إلى هذا الافتراض؟».

فهزّ كتفيه هزة غير مبالية تماماً، حتى غلى الدم في عروقها، فيما كان يجيب عن سؤالها: «إنها مجرد فكرة طرأت على بالي. لقد حذرتك من أنه قد يستحيل نمراً، لا تخبريني أنك ما زلت تقاومينه؟».

ـ إن كان قد..

ـ لم يفعل.

طالبته مستفهمة: «إذاً، ما الذي تعرفه عن هذا الأمر؟».

فأجابها براد بخبث: «لا شيء، عدا فكرة واحدة: أنت تستطيعين أن تكوني رفيقته المثالية. واعتقدت أنك قد اكتشفت ذلك، خلال وجودك معه على الجزيرة، بعد اختطافكما».

وما لبث أن هز رأسه الذي غزاه الشيب وأضاف: «ولكن، من جهة أخرى، فإنّ راين يستمتع فعلاً بعملية المطاردة!».

فسرى فيها الاشمئزاز، بصورةٍ ماثلة للنظر، مما دفعه إلى التمعن بها ساهياً، حتى وجد سبيلاً ليقول: «وبالنسبة لسؤالك عما أفعله هنا، فأنا مدعوٌ لتناول طعام الغداء».

- الغداء؟

- نعم، فاليوم يوم السبت وحتى أباطرة رجال الأعمال يرتاحون بعد الظهر.

- هذا صحيح، هل نسيت يا أونور أن اليوم هو السبت؟

كان الصوت الآخر الذي تناهى إلى مسامعها، صوت راين وقد أطلق كلامه بنبرةٍ متكاسلة وهو يدخل المكتبة مرتدياً سروالاً من اللون الأزرق البحري المقلّم، وقميصاً أبيض.

فأجابت بجرأة: «في الحقيقة، نعم».

ورد عليها: «لا تهتمي، هل تلعبين الغولف؟».

- كلا

- لم أسألك إلاّ لأن هذا ما سنقوم به، أنا وبراد، بعد تناول طعام الغداء، وفكرت أنك سوف تستمتعين في النزهة.

وأضاف وهو يرفع حاجبه ويتأملها: «باستطاعتك أن تقودي سيارة الباغي المخصصة للنزهات».

فردت عليه بتكلف: «لا، شكراً، من الأفضل أن أتابع عملي».

تدخل براد معاتباً: «ماذا تفعل يا راين؟ من الواضح لعيني الغائرتين في هذا الوجه المتجعد أنك لا تعالج الأمور جيداً أنا متدهش، يا صديقي القديم، فعلاً متدهش و...».

وسرعان ما توقف عن الكلام، فيما نهضت أونور من مكانها وقالت بلهجة فظة: «وأنا متدهشة جداً منك يا براد أولدفيلد. من جهةٍ لأنه كان، في يوم من الأيام، زوجاً لابنة أختك، وهي ما زالت متعلقةً به. أما من جهةٍ أخرى، فلا شأن لك بي على جميع الأصعدة. يوماً سعيداً أيها السيدان».

وقبل أن تغادر الغرفة، أضافت: «وأتمنى أن تخسرا كل كرات لعبة الغولف التي تملكانها».

ولكنها سمعت راين، قبل أن تنسحب نهائياً من الغرفة، يقول بنبرةٍ

كئيبة: «لا أعتقد أن أونور ستتناول طعام الغداء معنا».

ولمّا وصلت إلى غرفة نومها، أغلقت الباب، وهي تفكر باهتياج في أنها إزاء وحشٍ. ومن الضروري أن تغادر هذا المكان!

وبناءً على ذلك، أخرجت البطاقة التي أخذتها من المفتش. وانتظرت بفارغ الصبر حتى سمعت راين وبراد يخرجان. فطلبت المفتش المسؤول عن التحقيق.. أكد لها هذا الأخير أن رجلاً ما قد شوهد يتسكع في شارعها. وقد طابقت أوصافه أوصاف مارك مارخام وتصرفاته الغريبة. ولكن، للأسف، لم يستطع رجال الشرطة تعقبه حتى اللحظة.

فأخذت نفساً عميقاً، وقالت: «لا بأس، لقد اتصلت بك لأخبرك وحسب أنني سأبدّل مكان إقامتي. لا، لا داعي للقلق. فسأقيم في فندق».

ثم ذكرت اسم الفندق وتابعت: «أنا متأكدة من أن إجراءات الأمن فيه ممتازة، ولن أفتح باب غرفتي لأي كان.. وعلى أي حال، سأتبع هذا التنظيم لعطلة نهاية الأسبوع فقط. وبالتأكيد سأعاود الاتصال بك يوم الاثنين».

ثم أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها، وحزمت بعض الأمتعة في حقيبةٍ صغيرة. بعدئذٍ، طلبت سيارة أجرة، وتركت رسالة صغيرة لماري تخبرها فيها ألا تقلق. وكان من حسن حظها أن ماري قد استغرقت في قيلولة الظهيرة. أما وارن، فمنشغلٌ في تنظيف بركة السباحة، ولهذا تمكنت من فتح البوابات بنفسها، ثم انسلت خارجاً، وهربت

* * *

ما إن استقرت في غرفتها في فندق الهيلتون، حتى تنفست الصعداء. ولكنها أدركت أنها واظبت على النظر خلفها منذ لحظة خروجها من منزل راين، وهي تشعر بالإرهاق والتوتر المريع. ولهذا، استلقت على السرير، وحاولت متابعة برامج التلفزيون. غير أن البرامج اقتصرت، كعادتها بعد ظهر كل يوم سبت، على المباريات الرياضية، بما فيها الغولف فخلدت

إلى النوم، على غير وعي منها، ونامت حتى خيّم الظلام.

أيقظها رنين الهاتف. فنظرت إليه وغشاوة النوم ما زالت في عينيها، ثم التقطت السماعة وقالت: «نعم؟».

وإذا بها تسمع صوت أنفاس ثقيلة، ثم لغط أنبأها أن الخط قد قطع.

تسارعت دقات قلبها، فجلست مرعوبة، ثم تلمست أقراص الهاتف، لتتصل بمقسم الهاتف في الفندق. ولكن كل ما استطاعت أن تعرفه من عاملة الهاتف أن الذي خابرها رجلٌ طالب باسمها بالكامل. وما إن أنهت كلامها حتى أفادتها أن مخابرةً أخرى تنتظرها.

فقالت بتقطع: أقفلي الخط.. لا انتظري.

ثم سمعت صوتاً مألوفاً، ظهر أنه لم يسمع كلام عاملة الهاتف: «أونور؟».

- أوه، راين، أوه، الحمد لله.

فتنفست الصعداء وخارت ركبتاها وقد شعرت بالارتياح.

فسألها بجفاء: «أونور.. هل أنت على ما يرام؟».

- نعم، نعم، ولكن.. هل اتصلت بي منذ دقائق قليلة؟

- لا، لِمَ تسألين؟

- لأنني أعتقد أن مارخام ربما فعل..

- أونور، لا تتحركي من مكانك ولا تفتحي الباب لأيٍّ كان، حتى أصل إليك.

سألته وهي ترتعش: «وكيف أعرف أنه أنت؟».

- سأتكلم معك على الهاتف الداخلي للفندق، وسأطلب من عامل في الإدارة أن يصعد معي ويفتح لي باب غرفتك. لن يستغرق وصولي إليك عشرين دقيقة على الأكثر.

مرت الدقائق العشرون ببطء شديد لا يحتمل. ولكن راين دخل أخيراً إلى غرفتها، وبرفقته مدير الفندق مصحوبين برجل شرطة. وفيما كانت تنظر إليه بجزع. وهي لا تعرف ما الذي ينتظرها، ارتخت عضلات وجهه

المشدودة، وقال لها بلطف: «هذا ليس وقت إلقاء اللوم والملامة يا عزيزتي، أخبرينا بما حدث معك».

بعد مضي ساعة، عادت أونور ثانية إلى المنزل على ضفة النهر فتمتمت: «أشعر أنني غبية جداً».

وما إن وصلا حتى استقرا تحت الثريا التي تضيء الردهة. وضعت أونور حقيبتها على الأرض إلى جانبها، بينما خرجت ماري واستقبلتها بحرارة. وبعد دقائق، انسحبت بهدوء، لتتركهما وحيدين، للمرة الأولى منذ وصول راين إلى الفندق.

وهنا، رد عليها من دون أن يكشف وجهه عن أي تعبير: «حريٌّ بك أن تشعري بالغباء».

فأحست بالاحمرار يسري في عنقها وما لبثت أن أشاحت بوجهها عنه.

أما هو، فتابع: «ولكن، ربما أنا السبب الذي دفعك إلى هذا التصرف، أنا آسف».

وسرعان ما حولت عينيها بسرعة، لتنظر إليه ثانية، وحاولت الكلام، لكن شفتيها أعلنتا العصيان. فتمتم بهدوء: «أونور، لماذا تصعبين الوضع؟».

ثم أخذ بيدها، وجذبها إلى ذراعيه من دون أن يلقى أي مقاومة.

فردت بصوت مرتعش: «لعليّ... لعلّي جُبلت على هذا النحو».

قبّل شعرها الكثيف وقال: «لسوء الحظ، قد أكون مجبولاً على هذا النحو أيضاً. فماذا سنفعل حيال ذلك؟».

لم تستطع أن تجيبه قبل انقضاء بضع دقائق، ثم همست: «هل تستطيع أن تمنحني بعض الوقت؟».

- طالما تمنحينني المزيد من هذا.

وتقدمت منه حتى سمحت له بمعانقتها.

ولكن شعوراً في داخلها كان يحرضها على الاستجابة له.. وفي

خضم هذه الأحاسيس، سعلت ماري خلفهما. فإذا بها تسمع راين يتمتم باللعنات، قبل أن يفلتها بتروٍّ وينظر إلى مدبرة منزله مستفهماً.

أجابت ماري بحرج:

- إنه شخص يطلبك على الهاتف من بورت مورسباي ويقول إن الأمر طارىء.

***

٧ - سر العينين الزرقاوين

بدا الانفعال جلياً على محيا راين عندما عاد بعد عشر دقائق باحثاً عن أونور. فوجدها في غرفة نومها تفرغ محتويات حقيبتها. فما كان منه إلا أن ولج الغرفة، وأغلق الباب، ثم جلس على السرير قائلاً: «لقد بدأت أندم على الالتزام بمشروع الجسر».

فرمقته بنظرة استفهام وسألت: «لا تخبرني أنك ستنطلق في رحلةٍ إلى بورت مورسباي هذه الليلة؟».

- بل إلى سيدني. لقد طرأت بعض المشاكل مع أحد شركائنا في المشروع. وإذا لم يلتزم بتعهداته فسنخسر مبالغ كبيرة. وأنا مضطر إلى السفر في هذه الساعة المتأخرة.

- ألا.. ألا تستطيع أن تنتدب أحدهم للقيام بمثل هذه المهمات؟

- كلا، إلا هذه المهمة.

ففتحت درجاً، وأعادت ترتيب ملابسها داخله.

- أونور.. هل أنت قلقة بشأن مارخام؟

تمتمت: «ليس بالقدر الذي كنت عليه، ولكن لا بد من أنه كان يراقب هذا المنزل، ولا شك في أنه لحق بسيارة الأجرة التي أقلتني.. ولكن ما لا أستطيع فهمه هو لماذا انتظر ساعتين قبل أن يتصل بي في الفندق؟».

- على الأرجح، كي يمنحك إحساساً زائفاً بالأمان. ولكن، اسمعي، لقد بدأ يكثر من ظهوره الآن، ومن المحتم أن يلقى القبض عليه قريباً.

www.liilromancia.com

فاقشعر بدنها وهي تجيب: «أتمنى ذلك. لقد كان... شعوراً مرعباً».

فتأملها للحظة ثم طمأنها: «أنت هنا، في أمانٍ فعلاً. كما ترين، لقد وظفت الشرطة مراقباً إضافياً وقمت باستئجار المزيد من حراس الأمن. وهكذا إذا لم تقدمي على أي تصرف سخيف..».

ـ لقد حفظت الدرس.

ـ هل تفضلين الذهاب معي؟

دفعتها المفاجأة إلى التهالك على الطرف الآخر من السرير، وسألته بغباء: «أمن أجل ليلةٍ واحدة؟».

رد عليها: «بل قد يستغرق الأمر ليلتين أو ثلاث».

فأجابت أولاً ببطء: «أنا.. لا أظن ذلك».

ثم تابعت بعد أن حسمت أمرها: «كلا، سأكون على ما يرام هنا. كما أنني لا أزال غارقة في الآثارات البابوية».

فنهض من مكانه، لا لهدفٍ إلا ليستدير حول السرير، ثم تناول يدها حتى تقف بمحاذاته. وتمتم: «أعتقد أنك على حق، فلن يكون باستطاعتنا أن نمضي وقتاً طويلاً معاً. ولكن، ثقي بأنني ما كنت لأتركك هنا، ما لم أكن متأكداً من أنك في أمان، أليس كذلك يا أونور؟».

ردت عليه بصوت متحشرج: «نعم».

ثم احتضنها بين ذراعيه، وعانقها لفترةٍ قصيرة، ثم أبعدها عنه وقال: «وهذا البعد يتطلب مني الكثير من الجهد».

ـ شكراً.. لأنك كنت متفهماً منذ البداية، كما أنت الآن.

ـ هذا من دواعي سروري...

ونجأة، رن جرس الهاتف إلى جانب سريرها، فقال: «هذه المخابرة لي.. حسناً، أنا ذاهب، سأجيب من غرفتي» وغادر غرفتها.

***

وفي اليوم الثاني على غيابه، تعاقب عليها حدثان. فقد تلقت زيارةً

من ساندرا بايلي. وعندما وصلت، أرشدتها ماري إلى غرفة المكتبة، وهي تشعر بارتياك، ثم تركتهما معاً بعد أن أخبرتهما أنها ستعد القهوة.

فحيتها أونور والحيرة تبدو عليها: «مرحباً».

ردت ساندرا التحية بتهذيب: «مرحباً يا أونور، أرجو ألاّ تمانعي بزيارتي. في الواقع.. خضعت للتفتيش قبل أن يُسمح لي بالدخول».

ـ أوه، هذا لأنه.. حسناً، أعتقد أنك تعرفين سبب وجودي هنا، سيدة بايلي.

ـ نعم.. أرجوك يا أونور، نادني باسمي الأول، ساندرا.

ثم تلفتت حولها، وأزاحت بعض الأغراض عن كرسي قريب وجلست عليه، وأخيراً قالت: «لقد استحالت هذه الغرفة متحفاً رائعاً، مع أني اختلفت مع راين حول ضرورة إضافتها إلى المنزل».

ـ إذاً، هل أقمت في هذا المنزل قبلاً؟

انطلق السؤال منها عفوياً، قبل أن تتمكن من منع نفسها.

ـ لسنةٍ واحدةٍ فقط، لم أتمكن خلالها من أن أخلّف فيه الكثير من الذكريات.. ولكنني أيضاً لم أخلّف أي ذكريات في ذهن راين وبالمناسبة، أخبرني خالي أنك «تصدّينه»، وفق تعبير راين.

ثم نظرت إلى أونور مستطلعةً بعينيها الزرقاوين الشاحبتين مرة ثانية، وجدتها أونور أنيقةً إلى درجة الكمال، بثيابها الغالية الثمن، أضف أنها بدت أصغر من سنواتها الثلاثة وثلاثين، كما لاحظت أيضاً تلك النظرة الطفولية الغريبة في مظهرها.

وأخيراً، ردت عليها: «سامحيني يا ساندرا، ولكن على خالك أن يدرك أنه من الأفضل ألا يتدخل في ما لا يعنيه».

أخفضت ساندرا رأسها، ثم امتدت يدها إلى تنورتها، تحسّن من مظهرها وقالت: «أعرف ذلك، وفي الواقع، أعتقد أنه يستغلك حتى يدفعني، بشكلٍ من الأشكال، إلى نسيان راين بصورةٍ نهائية».

قالت أونور بعد تفكيرٍ دام لحظة: «ألا تستطيعين نسيانه؟».

فأجابت ساندرا برقة: «اعتقدت ذلك. ثم حاولت، لكني أعرف أن محاولاتي ستبوء بالفشل، وفي الحقيقة، لم أنجح قط».

- إذاً لماذا.

ترددت أونور ولكنها ما لبثت أن وجدت أنه لا مفر من طرح السؤال:

«. لماذا تفعلين بنفسك ذلك؟ أعني، بصرف النظر عن وجودي، علماً أنني لست عشيقته.. لماذا؟».

ردت ساندرا بعد تفكير: «أحياناً، لا أستطيع أن أنتزع من ذهني، أنه، ذات مرةٍ في الماضي، شعر بانجذابٍ شديدٍ نحوي. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتساءل هل في استطاعتي... العثور ثانية على تلك المرأة التي كنتها في السابق، لا غير... على الأرجح أنك تعتقدين أنني غبية. ولكنها مسيرة الحياة، فعندما قابلتك..».

هزت ساندرا كتفيها ولوحت بيدها بلا مبالاة: «أوه، أنا أعرف أن كلامي سيبدو نافهاً. ولكنك تبدين مناسبة جداً له، أكثر مني بكثير. كما أنك تفوقينني ذكاءً وحزماً بدرجاتٍ.. بل تملكين كل ما أفتقر إليه. ولهذا ربما، خالي براد على حق».

ثم تساءلت وهي تنظر إلى أونور: «هل قلت ما أزعجك؟».

ولم تندفع ساندرا إلى هذا السؤال المباغت، إلا جرّاء الخوف الذي بان على محيا أونور، لا سيما وهي تفكّر في هذه المرأة، أو أي امرأة أخرى تشابهها، هدرت خمسة عشر عاماً من حياتها، في حب رجلٍ واحدٍ لا يناسبها بتاتاً.

ثم تمالكت نفسها وأجابت: «كلا، أو بالأحرى.. نعم. إسمعي، المسألة لا تتعلق بأفضليتي على الإطلاق، بل كل ما في الأمر أنني مختلفة، كما أنني غير متأكدة البتة من أنني أناسب راين أو إن كان هو مناسباً لي.. ولكن اسمعيني، لا بد من رجلٍ مناسبٍ لك يا ساندرا، أوه..».

وأغمضت عينيها للحظةٍ قصيرةٍ قبل أن تتابع: «... كيف أصوغ ذلك، بصورة تبيّن لك أنني منصفةٌ وعادلة؟».

فارتسمت على محيا ساندرا ابتسامة حزينة تدل على أنها فهمتها، وسألتها: «هل تعنين أنك تحاولين إخباري أنني لا أناسبه؟ ليس هذا بالأمر الجديد. ولكن أحياناً أجزم بأنه ما من امرأة تناسب راين. ففي بعض الأوقات، ينغلق على نفسه، ولا يستطيع أحد أن يوجه له كلمة. بما أنه يناهز الأربعين، سيبدأ بالتفكير في وريث لثروته. وكم من المؤسف، أن يتلفت حوله، ولا يجد أحداً».

ثم أضافت وهي تنهض من مكانها: «كل ما أردت أن أخبرك إياه حقاً، أني عرفت أن ذلك سيحدث في يوم من الأيام. وأنا أبارك لك يا أونور».

- ساندرا.

فكرت لبعض الوقت قبل أن تتابع بصدقٍ، وقد ضاعت الكلمات من رأسها: «هل تسدين لي خدمة؟».

- بالطبع.

- بدلاً من التفكير في أنك لا تناسبينه، أرجوك فكري في الموضوع من زاويةٍ أخرى.. فهو، بكل بساطةٍ، لم يكن الرجل المناسب، وليس أهلاً لك. وهو لم يعرف السبيل الأنضل للتواصل معك. كما أنه لم يتعلم التمتع بما تتمتعين به ولم يفهمك أو يفهم مبادئك وقيمك. ولا تدعي فكرة ملايينه تضع غشاوةً على عينيك، فتلبسينه الصفات الحميدة والحكيمة التي لا يتميز بها. وفي الواقع، لربما حقق جزءاً كبيراً منها على حساب الآخرين. ولهذا، أنا لا أكنّ له أي احترام، ولا يجدر بك احترامه كذلك.

حدقت ساندرا فيها بذهول، ولكن كلامها الوشيك بقي طي الكتمان، فقد دخلت ماري لتخبرها أن زائراً آخراً ينتظرها.

وكان هذا هو الحدث الثاني الذي وقع هذا اليوم.

وسرعان ما أوضحت ماري: «إنها الشرطة، لكنني، لم أحضر القهوة بعد. إنما..».

ردت ساندرا وقد استعادت نشاطها: «لا عليك، فأنا لن أبقى، وداعاً

- ساندرا...

ومع أن أونور نادتها، لكن المرأة الأخرى توارت بسرعة. فأغمضت عينيها، وراحت تلوم نفسها على ما ارتكبته.

- آنسة لينغارد؟

- آه... نعم، دعيه يدخل، من فضلك.

وما لبث المفتش أن دخل إلى غرفة المكتبة، مصحوباً بماري. وبعد أن سلّمها مذكرةً، سألته: «حسناً، ما الذي ينويه الآن؟».

- يسرني جداً أن أعلمك يا سيدتي أنه أصبح خلف القضبان.. ولكن، بما أن السيد بابلي مسافرٌ، نريدك أن تأتي حتى تتعرفي عليه.

فما كان من أونور إلا أن تهالكت على كرسي وقالت: «هل تعني أنكم، أخيراً، قبضتم عليه؟ يا للخلاص!».

فقطب المفتش حاجبيه وأجاب: «نحن، في الواقع، لم نقبض عليه، بل هو.. سلّم نفسه».

فحدقت في المفتش، ثم بدأت تضحك، ولكنها سرعان ما اعتذرت منه وتمكنت من القول: «ولكنه، لماذا يفعل ذلك؟».

- إنه مجنون فعلاً يا سيدتي. لقد أخبرنا، أن كل ما يرغب فيه هو رسم لوحاتٍ عظيمةٍ. وهو أيضاً يقدم إليكما اعتذاره.

فرفت عيناها أكثر من مرة: «ليس مطلوباً مني أن ألتقيه وجهاً لوجه، أليس كذلك؟ أعني، الآن».

- كلا، يا سيدتي. سنضعه ضمن «صف التعريف». ولن يكون بإمكانه رؤيتك. إنها مجرد إجراءات قانونية».

* * *

عندما رجعت أونور إلى البيت في ذلك المساء، كان التعب الشديد يهدها. وفي الوقت ذاته، أحزنها شوق مارك مارخام الوديع إلى إرضاء الآخرين، واكتشفت أنها تشفق عليه رغم كل المتاعب التي أنزلها عليها، وراحت تتساءل إن كان من علاج لجنونه.

ثم عرفت أنها، على الأقل، لن تضطر إلى البقاء في هذا المنزل لفترةٍ أطول.

وفجأةً، استعادت الحديث الذي جرى بينها وبين ساندرا في الصباح، فتسمرت في مكانها. واستولى عليها إحساس من الانزعاج وعذاب الضمير، وقررت أن الحل الوحيد يكمن في الابتعاد عن رابن بابلي قدر الإمكان.

* * *

تمتمت ماري، مبديةً قلقها: «لن يروق ذلك للسيد بابلي يا آنسة لينغارد، لقد غضب بما يكفي عندما غادرت المنزل في المرة الماضية!».

- ولكن الخطر قد زال الآن يا ماري. ومن حقي فعلاً أن آتي وأذهب كما أشاء.

تضاعف القلق على وجه ماري، وردت: «أعرف ذلك، ولكن.. حسناً، أعرف أنني لا أملك الحق أن أقول هذا، ولكن يبدو وكأنك تفرين منه أو شيء من هذا القبيل و... لن يروقه ذلك».

ردت أونور بلهجة جافة، رغم النظرات الحانية التي أغدقتها على ماري: «على أي حال، عليه أن يتقبله. أما أنا، فأقدم لك جزيل الشكر على الطريقة التي عاملتني بها، يا ماري. ولكن، في حقيقة الأمر.. أحتاج للابتعاد عنه لوقت قصير».

فرمت ماري بسؤالها، بتردد من يخشى الجواب: «ألهذا... ألهذا علاقة بالسيدة بابلي؟».

فكذبت عليها أونور وأجابتها بالنفي.. ومع ذلك، صدمتها الفكرة وقالت: «لا أعتقد أنك ستمتثلين لإرادتي إذا طلبت منك ألا تذكري كلمة عن زيارة السيدة بابلي، أليس كذلك؟».

وما لبثت أونور أن تابعت بعد أن بدا الاستياء على وجه ماري: «لا، ظننت ذلك. إنسي أنني تفوهت بهذه الكلمات حتى..».

قطعت ماري عليها الحديث بعناد: «أعرف أنه أحياناً رجل صعب

الفراس، ولكنه ليس سيئاً».

ردت عليها أونور: «وأنا أظن أنه محظوظ جداً، بأن شخصاً مثلك يخلص له يا ماري. اسمعي، هذه المرة، لن أغادر خلسةً، بل سأترك له رسالة... وهذا آخر ما عندي».

«عزيزي رابن»... ثم عضّت أونور قلمها وشعرت أنه لا يستحسن أن تستهل رسالتها على هذا النحو، فالكلمات لا تبدو مناسبة. ولهذا مزقت الورقة، وقررت أن تترك الرسالة من دون أي مقدمات. فكتبت: «سوف آخذ عطلةً لبضعة أيام، وأرجو ألا تمانع. ونظراً لأن السيد مارخام قد أصبح في السجن الآن، بتّ أشعر بالأمان. أشكرك جداً على كل ما قدمته لي. في الحقيقة، يبدو الأمر كما علقت ماري، أنني أهرب منك، ولكنني أجد أنه من الأفضل أن أتأكد من مشاعري نحوك، بدلاً من أن أندم بعد ذلك.

تحياتي..»

ثم أعادت قراءة الرسالة عدة مرات، فأصابتها الكآبة لما جاء فيها من قصور عن الحقيقة، ولكن عندما ظهرت لها عينا ساندرا الزرقاوان المسكونتان بالحزن، شمخت رأسها ودست الرسالة في المغلف، ثم غادرت المنزل ثانيةً في سيارة أخرى، ولكن تعابير القلق التي بدت على ماري ظلت تتبادر إلى ذهنها حتى شعرت بالذنب.

وحين وصلت إلى شقتها، قررت ألا تجلس، وتقع أسيرة الشعور بالذنب، وألا تتساءل عن الأيام المقبلة، بل ستستمتع حقاً بعطلةٍ لبضع أيام. ومن الأفضل أن تنطلق فوراً، في حال وجع إلى منزله اليوم.

وهكذا، حجزت غرفةً، لثلاثة أيام، في فندق على شاطىء سان شاين، وانطلقت بسيارتها عند العصر.

ولكن اليوم التالي مرّ عليها بثقل، حتى اتضح لها، بصورةٍ تثير الغضب والاستهزاء، أنها عاجزة عن اتخاذ أي قرار..

حتى لو سلمت جدلاً بأن ساندرا عدوة نفسها، كيف تستطيع هي،

أونور، أن تعيش وفي بالها صورتها والحزن البادي في عينيها؟

ثم حدقت في الأفق من دون أن تراه، وأدركت، وهي تحس برعشةٍ بداخلها، أنها خائفة. ترى، ماذا يعني ذلك؟ هل يعني أن ما تخشاه قد وقع؟ هل يعني أنها قد وقعت في الحب رغماً عنها؟ أليس وجودها هنا، بعيدةً عنه بالجسد، إنما قريبةً بالتفكير فيه وفيما يفعله، عبثاً محيراً؟

ثم وثبت على قدميها وقد أحسّت فجأةً بالإختناق وبالضجر. فضاق ذرعها بالمنتجع والشاطىء والبحر وكل ما يحيط بها من مناظر جميلة. وشعرت أنها لا تريد قضاء اليومين القادمين في كسل واسترخاء، وأنها لن تستطيع احتمال لحظةٍ أخرى في هذا المكان. وفي اللّحظة نفسها، حزمت أمتعتها وعادت بسيارتها إلى بريسبان.

ولكن مسألة أخرى واجهتها هناك. ماذا تفعل الآن؟ أتذهب لمقابلته، أم تكتفي بالتردد إلى مركز العمل في الصباح، كالعادة؟ أم تقدم استقالتها.. وتسافر خارج البلاد؟ ولكنها تذكرت فجأة جوازها الذي انتهت صلاحيته. فراحت تلعن حظها ثم مدت يدها إلى الهاتف ردت عليها ماري. وكان أول ما أخبرتها به، أن السيد بابلي ما يزال في سيدني ولا يعرف متى باستطاعته العودة.

سألتها بحذر:

ـ هل كان.. غاضباً جداً؟

ردت عليها ماري: «لم يذكر شيئاً يا آنسة لينغارد. ولكنه يريد مني أن أعلمك، في حال اتصلت بي، أنه من الضروري نقل الأقنعة وغيرها من التحف إلى قاعة المعرض. فالشخص الذي أرسلها سيصل إلى بريسبان في غضون أسبوعين، وهو يتوقع أن يرى كل التحف جاهزةً للعرض. وهو وزير من بابوا نيو غينيا أو ما شابه».

ظلت أونور لثوانٍ ذاهلة، فيما تابعت ماري كلامها بعد توقفٍ مهذب: «وعليّ أن أعلمك أيضاً كما أوصاني، أننا، وارن وأنا، قمنا، بناءً على طلبه، بترتيبها وإرسالها إلى المكتب».

ـ ماري . . .

ـ أوه، يا آنسة لينغارد . .

أصبحت نبرة ماري فجأة أكثر تعاطفاً: «. . . لقد حذرتك، أليس كذلك؟ يجب أن تدركي أنه ليس ممن تستطيعين العبث معه، حسناً، لقد رأيت بنفسي أنك وهو . . أنا أعني، ليس من حقي أن أقول ذلك. ولكنني صرت أحبك و . . . لكن، حسناً . .».

توقفت عن الكلام وهي تكاد ترتجف ثم كررت كلامها: «كل ما في الأمر، أنك لا تستطيعين العبث مع السيد بايلي».

وضعت سماعة الهاتف في مكانها برفقٍ ثم التقطت دليل الهاتف الموجود إلى جانبها ورمته عبر الغرفة. وهي تصرّ على أسنانها. وعزمت على أسلوب في التصرف، وصفته بالجنون. فالوقت قد حان كي يلقن أحد ما رابن بايلي درساً، وليس من شخص أفضل منها للقيام بتلك المهمة.

في الصباح التالي، ارتدت ملابسها بحرص شديد، واختارت ثوباً من الكتان البيج، بسترة مفتوحة عند الصدر، وتنورة قصيرة بأزرار ذهبية في الأمام. كما ارتدت جوارب شفافة بلون الجلد، وانتعلت حذاءً من الجلد البني. ثم خضبت شفتيها باللون الزهري المائل إلى البرونز، ووضعت حول عنقها رباطاً من اللون الوردي. وأخيراً، سرحت شعرها الناعم الداكن اللماع، وقد أصبحت من الاسمرار بما يكفي لتمويه النمش عن وجهها.

وحين نظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة. ابتسمت، ثم سألت نفسها، لمن تتكبد كل العناء. وأجابت نفسها بحدة، أنها لا تقدم على هذا الأمر إلا لأنه مهم.

* * *

سبّب ظهورها ثانية في مركز بايلي ضجةً كبيرةً. وكان من يقابلها يوقفها، ليلقي عليها سؤالاً من هنا ومن هناك، أو ليرحب بها. أما أكثر

الأسئلة تردداً، فهو: «ما كان شعورك وأنت محتجزةٌ على جزيرة مع السيد بايلي؟» ولكنها لاحظت أن أحداً لم يسألها عن شعورها وهي محتجزة مع السيد بايلي في منزله.

افترضت أن ذلك الخبر لم ينتشر بعد، فشعرت بامتنان ممزوج بالسخرية، نظراً إلى الإجراءات الأمنية المشددة.

اتصلت بام مايرِ بها ولم يكد ينقضي على وجودها في مكتبها خمس دقائق: «أونور، أهلاً بعودتك».

ـ شكراً يا بام. كيف حالك؟

ـ لقد دخل عشرة أشخاص، على الأقل، ليخبروني بعودتك.

فأجابتها بلهجةٍ جافةٍ: «أستطيع تصوّر ذلك، هل من مشكلة حول عودتي إلى العمل؟».

ـ أبداً، ولِمَ يجب أن يكون هناك؟

ـ كنت أتساءل فقط. فأنا لم ألتقِ السيد بايلي منذ فترة.

قالت لها بام: «إنه في سيدني. ولكنه طلب مني أن أعلمك، ما إن تعودي إلى العمل، أنه سيكون مديناً جداً إذا كان بإمكانك . . .

فأكملت أونور عنها: «الإهتمام بمعرض التحف والآثارات البابوية. أخبريني يا بام، هل أصبت الهدف تماماً؟».

ـ حسناً.

ردت بام ببطء وكأنها ارتابت في سخريةٍ مبطنةٍ في كلام أونور.

وما لبثت أن أنهت المخابرة أخيراً وهي تقول: «من الرائع أن تعودي إلينا سليمة يا أونور».

ـ شكراً يا بام.

ثم وضعت السماعة، وهي تشعر بالخجل قليلاً. لكنها، أمضت اليوم بطوله في المستودع.

* * *

٨ ـ لا أريد الظل

عندما وصلت إلى شقتها، استحمت وارتدت ثوباً رقيقاً من الحرير، مخطط باللونين الزهري والأصفر على خلفية من اللون الأخضر الفاتح، ثم بدأت بتحضير وجبةٍ خفيفة. أما الأمر الوحيد الذي لم تستطع له سبيلاً، فهو حجز أفكارها، وتنظيمها.

ولأسباب عدةٍ، لم يخطر في بالها أن راين سيقرع بابها في اللحظة التي انتهت فيها من تحضير طبق العجة. بل كانت متأكدةً من أن الطارق صديقةٌ تركت لها في غيابها مذكرةً صغيرة، تخبرها فيها أنها ستحاول زيارتها في أمسية أخرى.

ومع ذلك، ودت لو تتجاهل رنين الجرس. ولكنها عرفت أن ضميرها سيؤنبها فيما بعد. فباستطاعة الزائر أن يرى، من خلال الشارع، ومن مدخل المبنى، أن الأنوار في شقتها مضاءة.

ولذلك، صرت على أسنانها، واتجهت نحو الباب، محاولة التفكير في طريقةٍ تعتذر بها عن استقبالها. ولكن، كمادتها ماتت الكلمات على شفتيها بمجرد ما رأت الشخص الماثل على عتبة دارها.

فقالت بصوتٍ هامسٍ مبحوح: «لا...».

ولكنه رد عليها من دون انفعال: «نعم.. يا أونور. سنضع حداً لهذا الأمر الآن».

أمسك بمقبض الباب، وأغلقه، ثم ضمها بين ذراعيه وتابع: «يجب أن تعرفي أنني إذا كنت أؤثر فيك على هذا النحو، فليس ذلك أقل مما

تؤثرين فيّ».

وبعد انقضاء دقائق خمس، توقف عن عناقها، وتوقفت معه دقات قلبها.. ولم تكن حجته إلاّ أنه يشم رائحة حريق في الجو.

فشهقت: «العجة!» ولحق بها إلى المطبخ حيث شاهدا معاً العجة المتشحة بالسواد. فأطفأ فرن الغاز على الفور.

ثم قادته إلى غرفة الجلوس وبعد أن جلس على الأريكة، تمتم بهدوء: «تعالي إلى جانبي».

ترددت أونور أولاً، وما لبثت أن اقتربت وجلست إلى جانبه.

ـ لمَ لا تكلميني يا أونور، لمَ لا تخبريني بما يدور في رأسك؟

فكرت هنيهة تماوجت فيها الألوان على وجهها ثم قالت بغتةً: «ظننت أنك تنفست الصعداء...».

فرفع نظره إليها وإذا بها تتلاعب بقماش ثوبها الحر وتتابع: «.. حين رحلتُ.. ولم تلحق بي».

فلوى شفتيه ورد عليها: «اعتقدت أنك لا تحبذين مطاردي لك في المكتب».

وافقته ثم هزت بكتفيها: «صحيح.. ولكن».

وأعلن بعد مرور لحظة: «إذا كنت قد فعلت، فلأنك متهورة جداً.. وضائعة، هذا كل ما في الأمر، ولم يكن ذلك استنكاراً مني، على أي حال».

ردت عليه بنبرة لاذعة ثم عضت على شفتها: «أنا لم أظن ذلك».

فأسند رأسه إلى الوراء وقال: «إذاً أنت التي استنكرت ذلك؟».

لم تقل شيئاً، بل نهضت واتجهت نحو النافذة، حيث وقفت تحدق في الظلام لبضع دقائق. ثم قالت بعد طول انتظار: «أظن ذلك».

بعدئذٍ، استدارت شامخة الرأس وأضافت: «ربما أنت محق. ففيّ جانب أحمقٌ وساذج نوعاً ما. ولكن ليس من المريح أن تشعر..».

وإذا به ينهض من مكانه كفهدٍ يهجم على فريسته، ويهتف: «اسمعي

يا أونور، ما الواقع بيننا إلا سحر يلفنا بل شحنة رائعة، كتلك التي تسري بين رجلٍ وامرأة عندما يشعران بانجذاب متبادل. وإذا كنت لا تعترفين بأي واقع آخر، فعلى الأقل اعترفي بهذا. وإذا كنت لا تصدقين كم أنا غارقٌ في حبك. سأبرهن لك ذلك وأطلب يدك للزواج».

فغرت فاها عندما سمعت ما قاله، وشعرت بطعنة في قلبها.

ـ الرغبات الجامحة ليست أساساً جيداً للزواج.

فبان الغضب على وجهه وسارع يقول: «ماذا تريدين يا أونور.. أنا أعرض عليك الزواج، لأنه السبيل الوحيد لتقربيني منك.. فلماذا تعترضين؟ ألا ترين أن هذا التفاعل القائم بيننا يكاد يقضي علينا، وكأننا بركانٌ على وشك الانفجار في أي لحظة..».

ـ أعرف، أعرف لكن الزواج أعظم من أن..

ـ بل الزواج حلٌ في كثير من الحالات، وهو الحل الوحيد.

نظرت إليه وفي عينيها بركان من الحيرة..

كانت نظراتها ثابتةً وهي توافق: «حسناً.. فليكن الزواج...».

سرت على وجهه بسمة نصر وكأنه ظمآن طالت مدة ظمأه حتى كاد اليأس يقتله قبل العطش

ـ حسناً استعدي غداً صباحاً.. لننهي هذا.

* * *

في مساء اليوم التالي، وقفت أونور في غرفة نومها تتأمل وجهها وثوبها السحري الذي ارتدته الليلة.. أليست عروساً؟ ألا يحق لها أن تدلل نفسها ببعض الإغراءات.

وهنا، سمعت قرعاً على الباب، وكانت تعلم من الطارق.. إنه راين، زوجها.. اليوم أنمّا الزواج وأصبح له حق الحصول عليها.. أليس هذا ما أراده منها؟ ترى إلى ماذا سيؤول زواجٌ ركيزته الأساسية الرغبات؟

لقد اتفقت معه على العودة إلى شقتها في الوقت الحالي، لأن عليها ترتيب أمورٍ كثيرة قبل أن تنتقل إلى منزله وهو لم يعترض على ذلك، إذ

قال لها: «لا يهمني أين تقطنين بل ما يهمني فقط أن أكون قد نزعت كل الحواجز التي تفصلنا».

عندما فتح راين باب غرفتها وقف يتأمل وفي عينيه وميضٌ لم تدر أونور إن كان وميض نصرٍ أم وميض سرور.

قال بصوت متهدج: «ما أجملك!».

ثم اقترب منها يضمها بين ذراعيه، ويداه تتلمسان طريقهما على كتفيها وذراعيها، وهلق بخفة وإصبعه يرسم دوائر على كتفيها.

ـ النمش في كل مكان.

همست له: «أنت تعرف ذلك.. فقد رأيتني بثياب الساحة».

التقط أنفاسه: «لم يبد لي النمش رائعاً، كما أراه الآن».

وعاد يحدّق إليها: «هل تسمحين لي أخيراً بنيل مرادي؟».

افترقت شفتا أونور، فالسؤال غير متوقع، وحلاوته تجرح بشكل لا يطاق. ومجرد إيماءةٍ لطيفةٍ ومرحة من هذا الرجل القوي أخذت بشغاف قلبها.. فأغمضت عينيها وردت عليه: «نعم، أرجوك. لقد تاومتك يا راين حتى استُنفذت مني طاقتي تقريباً».

رد عليها بوقار: «ما أسعدني بما أسمع منك يا أونور، لا سيما أنني كنت على وشك الإصابة بعقدة نقص».

فقالت مقهقهة: «أجد صعوبة في تصديق كلامك هذا».

ثم انزلقت يداه الكبيرتان إلى ما تحت ساقيها ليحملها.

وأخيراً، استلقت على السرير حيث وضعها وأغمضت عينيها، بانتظار أن يصبح إلى جانبها، وقال: «سبق أن استلقينا معاً في أحضان بعضنا البعض».

ـ هم.. مـ.. مـ.. الجزيرة، أشعر الآن وكأن ذلك حدث منذ زمن طويل.

فلمس وجهها برقة وكأنه يعزف على بيانو وقال: «أعرف ذلك».

ـ هل تظن أنهم سيدعّون عليه؟

ـ أشك في ذلك.

www.elromancia.com

- أتعرف، أنا لا أدري لماذا لم يتبادر إلى ذهني، حينها، التشابه بينه وبين الرسام الشهير فينسنت فان غوغ، سواءٌ في أسلوبه أم في شعره الأحمر أم في اختلال عقله.

- وربما أراد مارك التمثل به.

ابتسمت وشهقت لا إرادياً: «هذا.. ظريف».

- وظريف بالنسبة لي أيضاً. لقد.. أعجبتني غرفة نومك.

وحينها، فتحت عينيها وتلفتت حولها. كانت غرفةً واسعةً طليت جدرانها باللون الأزرق الفاتح، وتحتوي على سرير مزدوج من الخشب الأحمر، كان في الماضي سرير والديها.

في الغرفة أيضاً خزانةٌ من الخشب الأحمر متلائمة مع السرير، وطاولةٌ صغيرة فاخرة من خشب الجوز. هذا إلى كرسيٍّ موضوع بمحاذاة النافذة. أما على الجدار، خلف السرير، فعلّقت مجموعة مختلفة من الرسومات والصور واللوحات، بإطارٍ من الخشب المذهب.

قال لها بصوت خافت: «ليست.. خانقة».

تنفست بعمق وقالت: «كلا. لطالما حلمت بغرفة نوم مثل هذه، ولكنني أردتها أن تطل على حديقةٍ جميلة».

ثم أغمضت عينيها وهتفت: «راين..».

فتمتم منذمراً: «ما بك، هل أقدمت على ما أزعجك؟».

ردت عليه بهمس وهي ترتعش: «لا، ليس ذلك».

- إذاً ما الأمر؟

فتمكنت بصعوبة من الرد عليه: «أشعر بالسعادة».

- وهذا ما أشعر به أنا أيضاً.

ثم ضمها إليه بشدة، وأخذ يعانقها بشغف وشوق، حتى عجزت عن إبداء أي مقاومة أو اعتراض والأهم أنها بادلته عاطفته بأخرى ناسية حاضرها وماضيها ومستقبلها. فالمهم هو وجودها معه، مع هذا الرجل الذي أصبح زوجها.

نامت بضع ساعاتٍ، لتستيقظ على شعورٍ غريب، تصورت فيه نفسها كأنها تطير فوق السرير فشهقت فجأة حتى تململ راين الراقد إلى جانبها وما لبث أن حضنها بين ذراعيه وسألها: «ما بك؟».

فدفنت وجهها في كتفه وأجابت: «لا شيء».

- هيا يا أونور، أخبريني.

فأفصحت عن شعورها وأضافت: «أرأيت عواقب ما تفعله بي؟».

قال: «وماذا أقول أنا عن عواقب ما تفعلينه بي؟».

ضمته إليها بما أوتيت من قوة. وشعرت بنوعٍ من الاكتفاء النفسي مختلفٍ عما عرفته من قبل عندما استرخيا أخيراً في أحضان بعضهما البعض. وتنامى هذا الشعور بعد تفكيرها أنها ستمضي النهار بطوله معه.

ولكن سرعان ما خاب أملها عندما أخبرها بعد انقضاء فترة وجيزة: «للأسف، ولكن يجب أن أذهب».

انتفضت وقالت: «لا، لن تذهب إلى أي مكان. بل كيف تذهب في يومنا الأول..».

- ذهابي لا يعني أنني لا أريد البقاء معك ولكن..

جلست في مكانها ومررت أصابعها في شعرها وهي تنظر إليه شزراً: «إذاً ما السبب؟».

وضع يده على عنقها وتتبع العروق الظاهرة ثم هدهدها برقة: «لدي عمل كثير.. فالحقيقة أنني لم أرتّب الأمور.. لا سيما أن زواجنا حدث بسرعةٍ، بحيث لم يتسن لي القيام بشيء».

هدأت بين ذراعيه وهو يقبل شعرها ويقترح: «ما رأيك لو نترك الأمور ريثما أنظم وقتي بحيث نقضي معاً أسبوعاً يكون لنا بمثابة شهر عسل».

- حسناً.

فوافقته وهي تتساءل في سرها إن انتبه إلى إحساس الدهشة الذي نمّ عن صوتها.

لكنه لم يقل شيئاً، بل استمر يحتضنها برقة.

سألته فجأة: «هل تريدني أن أستمر بالعمل لحسابك؟».

- ليس تماماً...

ولما لاحظ أنها توترت تابع موضحاً: «.. وأنا أقول ذلك فقط.. لأنني سأكون موجوداً معك في المكتب ذاته، وأنت أصبحت زوجتي».

أجابته بهدوء: «وإن يكن».

ثم ابتسمت وتابعت: «على أي حال، بعد انتهاء معرض الآثارات البابوية.. وربما أستطيع متابعة العمل من البيت».

- لِمَ لا؟

- وفي غضون ذلك سأحاول أن أبتعد عن طريقك.

- لن تنجحي في ذلك..

- عنيت، في المكتب، خلال ساعات العمل!

- حسناً، ولكنك في البيت ستكونين لي وحدي.

أجابته بنعومة: «بالتأكيد يا واين».

وتابعت بصدق: «أنا لا أعتقد أن باستطاعتي البقاء بعيدةً عنك».

- ما رأيك أن تستجمعي بعضاً من قوة إرادتك، لتطردني قبل أن أغير رأيي؟

فهمهمت وحضنته بشدةٍ للحظة، ثم دفعت الغطاء عنها ونهضت وهي تقول: «لا أسمح أبداً أن يقال عني إني ضعيفة الإرادة، سوف أستحم سريعاً، وأحضر لك القهوة».

وهرعت إلى غرفة الحمام.

كانت الشقة تعبق برائحة القهوة، عندما خرج من غرفة النوم وهو يعقد ربطة عنقه.

لم تكن أونور قد ارتدت ملابسها ثانية، بل اكتفت بالادثار بثوب الحمام وهي تصب القهوة بهدوءٍ وكسل.

وحين ناولته كوب القهوة، شكرها ثم سألها: «هل أنت بخير؟».

رفعت وجهها إليه، وهي لا ترى الهالات الزرقاء التي ارتسمت تحت

عينيها وخطوط الوهن حول شفتيها وأجابته: «على ما يرام».

فارتسمت على فمه ابتسامة غامضة خالية من أي تهكم. وقال لها بخفة: «متى تنتقلين إلى منزلي؟».

أجابته بصوت أجش: «أنا غير متأكدة، في أي يوم نحن؟».

وأضافت بعد أن نظرت إلى ساعة الحائط: «حسناً، أنتقل إلى منزلك يوم السبت، فأنا بحاجة إلى هذه الأيام، لأوضب أغراضي».

- عظيم جداً، أما أنا، فتنتظرني إجتماعات عمل على العشاء ليلة غد، وليلة الجمعة، ومن ثم أعود إلى هنا.

ثم أمسك بيدها الأخرى، وأطبق أصابعها وقبل يدها: «السبت.. ليكن ذلك، بيتي بانتظار سيدته، أنا ذاهب الآن».

همست له: «مع السلامة».

ولكنه سحب كوب القهوة من يدها وأخذها بين ذراعيه وهو يقول: «أنت تعرفين أنك لن تشعري بالسعادة إذا ودعتك بغير هذه الطريقة، أليس كذلك يا أونور؟».

أجابته وهي ترتعش: «نعم، ولا تأبه لذلك».

- إذاً ستعديني بأنك لن تهربي مني بين اليوم والسبت.

- أنا لم أفعل...

فقال لها بحزم ورقة: «أونور».

- حسناً...

- جيد، هذا وعد، لا تنسي. والآن لم لا تعودين إلى الفراش؟

- سأفعل، حالما ترحل.

- على فكرة، ما من سببٍ يمنعنا من الاتصال هاتفياً في غضون ذلك.

أبعدها عنه وابتسم لها قائلاً: «سأتصل بك».

وانتظرت حتى سمعت سيارته اللمبورغيني تنطلق قبل أن تعود إلى غرفة النوم، وتتهاوى على السرير بملاءاته المبعثرة. ثم أرخت جسمها على أغطيته، ودفنت رأسها في الوسادة، سعياً وراء رائحته وكأن

www.elromancia.com

باستطاعتها العودة إلى أحضانه، وبقيت لفترة مستلقية، وهي تحدق في الظلام، وأفكارها في أوج ارتحالها.

فكرت بنباه كيف رفضت لقاءه في المكتب في الأيام القليلة القادمة، وفي ما ينطوي عليه ذلك، من مشاعر الوحدة والشوق والحرمان.. نعم الحرمان، لأنه ليس إلى جانبها.

من كان يظن أن أونور لينغارد ستؤول بها الظروف إلى هذه الحالة؟ وأجابت على نفسها: «لست أنا طبعاً، فلطالما كنت صاحبة المبادرة. ولا أستسلم أبداً».

أهذا ما سيحدث لي من الآن وصاعداً؟ هل سأصبح طوع إرادته؟ هل سأترقبه فيما يغلق نفسه عني؟ وما لبث صوتها أن ارتفع وقد لاح لها خيال ساندرا على حين غرة، ليزرع الخوف في قلبها.

ثم خطرت على ذهنها فكرة أخرى. فراين لم يأتِ على ذكر زيارة ساندرا في منزله، وتساءلت عن السبب. ولكنها أخيراً نامت من دون أن تجد إلا جواباً واحداً: لقد استحالت إنساناً آخر.

***

بعد ذهاب راين في الصباح التالي، بذلت جهداً للمباشرة بالعمل. فقد لاحظت أن وجهها شاحب وعينيها منقلتان ومنتفختان، ولسوء حظها كان بيل فورنشون أول شخص تتعثر به لما قرّرت الذهاب إلى المكتب أخيراً.

حياها بابتسامة: «أونور. علمت بخبر زواجك براين. لكني لا أفهم كيف تأتين إلى العمل بعد يومين على زواجك».

فتمتمت ببضع كلماتٍ اعتيادية على عجل وهي تتابع المسير إلى مكتبها عبر الردهة الخارجية.

فسار بيل معها متلهفاً: «أخبريني، كيف حدث ذلك!».

فما كان منها إلا أن تنهدت وتوقفت عن السير، ثم ردت عليه: «لقد وجدنا أن الزواج ضرورة».

ـ حسناً فعلت، أنصد، رغم احترامي الشديد لهذا الرجل ومحبتي له، إلا أنه يسرني أن أرى أحداً يلقنه درساً. ومن جهة أخرى..

التقط أنفاسه وتابع: «نصيحتي لك أن تحذري منه؟».

فشهقت. لكن بيل تابع حديثه برزانة: «لأني أعرف أن عمله يسري في دمه بل هو في الحقيقة آلة وليس برجل، وأنا أعرف ذلك، نظراً إلى الوقت الطويل الذي أمضيته معه حتى الآن. كما أعرف أيضاً ما يكفي عن النساء حوله، مما يتيح لي أن أشاهد الدلائل.. ولكنك تختلفين عن الأخريات لأنك الزوجة بل المرأة التي جرته إلى مذبح الزواج إنما هذا لا يعني أنه سيكتفي بك ولكن لن أقول كلمةً واحدة إضافة إلى ذلك! إلى اللقاء يا أونور».

فأغلقت على نفسها باب مكتبها وهي تفكر في كلام بيل باضطراب إنه من عمر راين تقريباً، متزوج من امرأةٍ عاديةٍ وعنده ثلاثة أولاد.

وفجأة، قطع رنين الهاتف عليها أفكارها، وكانت المخابرة من أحد المسؤولين في شركة توزيع أقفاص العرض الزجاجية التي تحتاجها للمعرض، فتمكنت بفضل هذه المكالمة أن تصرف تفكيرها عن هذه الأمور.

وفي الواقع، لم تتوقف مهامها بشكل أو بآخر حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ثم تلقت مخابرة أخرى.. وهذه المرة من بام..

ـ أونور. لقد طلب مني السيد بايلي أن أخبرك، أن تحضري إلى مكتبه، إذا كان بإمكانك توفير بضع دقائق من وقتك.

ردت عليها محتارة: «الآن؟».

ـ نعم.. إلا إذا كان عندك ما يشغلك.

ـ حسـ.. حسناً.

***

كان مستلقياً خلف طاولة مكتبه، متجرداً من سترته، ولكنه نهض من مكانه ما إن دخلت الحجرة، وحدق كل منهما في الآخر للحظة غير

قصيرة.

ثم قال بهدوء «اشتقت إليك فأنا لم أرك منذ الصباح»

- راين.

أحست برعشة نسري في داخلها. ثم ارتميا في أحضان بعضهما في حين قالت له بطفولية وهي تدفن خدها في كتفه: «لقد اشتقت إليك أيضاً».

- هذا أمر جيد، أعني طالما أنني لست الوحيد الذي يعاني هذه الحالة

- لا، لست وحدك

فعانقها بنهم، ثم نظر إليها وفي عينيه ومضة بشغف: «أريدك. ليتك تعلمين كم أريدك. ولكن سأكف عن ذلك الآن.. بصورة أو أخرى».

ردت عليه متحسرة. «حسناً، الوضع أشبه بمن يصب الزيت على النار»

نظر إليها شزراً ثم قال «ماذا تقصدين؟».

كادت تخبره عن الحديث الذي تبادلته مع بيل، ولكنها عدلت عن ذلك وتمتمت: «سمعت كلاماً ضايقني».

فأفلتها من بين ذراعيه، ثم جرها من يدها إلى حيث المقاعد وانتظر حتى جلست قبل أن يسألها: «ما الأمر؟».

فتحت فمها لتبدأ، ثم ما لبثت أن غيرت رأيها وقالت: «لِمَ لا تجلس يا راين؟».

فجلس إزاءها، وأزاح من أمامه بعض الأغراض الموضوعة على الطاولة التي تفصلهما

قالت ببطء: «يقولون إنني الآن «الزوجة» ولكنك لن تكتفي بامرأة واحدة».

اشتعلت عيناه بغضب: «وأنت صدقت ما يقال وكأنك...».

فحدقت في الأغراض التي أزاحها عن الطاولة. مجلتين، ومنفضة من

الكريستال، ثم نظرت في عينيه مباشرة.

- أنت تقصد أن تقول إنني امرأة سخيفة لأنني صدقت ذلك؟

- بالنسبة لي، ما من صفةٍ سخيفة ترتبط بك على الإطلاق يا أونور، وإلاّ لما تزوجتك، ولما قويت على فراقك، ولكن، رغم الفضول المزعج الذي يصيب أي شخصٍ في مثل هذا الوضع، فما شأن الآخرين، فعلاً، بنا؟ سأطلب منك طلباً واحداً وهو ألا تعيري أهمية لأي كلام يُقال عني

- حسناً.. لن أعير بالاً إلى كل الأقاويل.

- أين أصبحت بشأن ترتيب أمرك للانتقال إلى منزلك الجديد؟

- كل شيء يسير على ما يرام. لقد تعاقدت مع شركة لتنقل لي أغراضي وكما قلت لك، نهار السبت سأكون عندك

- نعم، هذا ضروري لسلامة عقلي

- راين...

ارتجف صوتها وهمت بإتمام جملتها لكنها توقفت بغتة

يا إلهي، إحترسي. لا تفقدي صوابك كله. تذكري ساندرا، تذكري.. بيل فورتشون. أهذا الرجل آلةٌ أم لا، بصرف النظر عن أنه يعرف كيف يثير مشاعرك؟

ترى في أي تهلكة رميت نفسك؟ في... زاويةٍ من حياته وقد ثبتت عليك بطاقة كتب عليها «زوجة الظل»؟ بل الزوجة الحاضرة لتلبية رغباته وقتما يشاء.

ولكن الصدمة التي تلقتها فعلاً هي الفكرة النهائية التي آل إليها تيار أفكارها: لماذا لم يقل لي إنه يحبني؟.

رمقها بنظرات ثاقبة قائلاً: «لِمَ لا تبدئين بإخباري عن المشاعر التي أحسست بها بعدما تركتك اليوم صباحاً».

عضت على شفتها ولكنها استعادت بعضاً من رباطة جأشها، وقالت بكل صدق: «حسناً سأخبرك، انتقدتك.. فأنا لا أريد منك الابتعاد عني لا سيما في أيام زواجنا الأولى».

ـ أونور..

ـ لا، إن ما يحدث بيننا يفوق احتمالي. ولهذا...

وسرعان ما التقطت أنفاسها، وهي تحاول أن تجد تفسيراً للألم الشديد الذي ألمّ بها، ومع ذلك تابعت: «أنت على حق.. لا شأن لأحد بنا، وقريباً أنتقل إلى منزلك».

ـ عظيم.. سنذهب الساعة السابعة من مساء الغد. هذا إذا كنت تسدين لي هذه الخدمة وترافقيني إلى عشاءٍ رسمي. فهلا ارتديت ثياباً سوداء؟

فقالت له بعفوية ثم تمنت لو عقدت لسانها: «لقد فعلت ذلك قبلاً، ولكن لا لسببٍ إلا لأنني لم أكن أملك غير الفستان الأسود؟».

ـ أنا أعرف، يا للأسف، وبالمناسبة، المدعوون هذه المرة ليسوا رجال أعمال يابانيين، بل هو عشاء راقص لبعثةٍ تجارية أميركية.

ـ لا بأس بذلك.

ثم أمسك بيديها وقال بجرأة: «هل نحن على وفاق الآن؟».

ـ نعم.

ـ ولكن سيكون عليك المبيت عندي ليلة غد لأنني مضطر للعودة إلى منزلي.

ـ حسناً، غداً أبيت عندك وما إن يحلّ نهار السبت حتى تحلّ مشكلتنا.

في ذلك المساء، ارتدت أونور فستاناً ضيقاً من الدانتيل بلون الكرز الأسود، يائته منخفضة وأكمامه واسعة ومنتفخة.. من النوع الذي لا يليق إلا بامرأةٍ طويلة. ولم تتزين إلا بخاتم زواجها وبقرط من حبات اللؤلؤ الصغيرة، وسواراً من حجر الأمسيست البنفسجي. واختارت حقيبة سهرةٍ تماثل لون الفستان، مطرزة بقشر اللؤلؤ.

***

٩ ـ لن أكون الثانية

ـ ما رأيك؟

تمتمت أونور: «كانت سهرة ممتعة».

ـ لم تخبريني يوماً أنك راقصةٌ بارعةٌ بهذه الصورة.

ـ وأنت ترقص جيداً أيضاً.

وقفا متلاصقين على الشرفة العليا في منزل راين. كانت ليلةً حارةً وصافية لا نسيم فيها. أما النهر فساكنٌ، تجري مياهه بهدوء فيما الأضواء المنبعثة من على ضفتيه تنعكس نجوماً متلألئة.

سألها: «هل أنت متعبة جداً؟».

أجابت بعد بضع ثوانٍ: «أنا متعبة ومشدودة الأعصاب أيضاً، ولا أعرف لماذا».

ـ ربما لأننا لم نستطع أن نحافظ على تعالينا فيما نحن نرقص معاً؟

أغمضت عينيها وقالت بطفولية: «نعم، لا أعرف كيف يمكنني أن أضع مسافةً بيني وبينك ثانية».

ـ حسناً، من غير الضروري أن نحاول ذلك الآن.

نهزت رأسها نفياً، ثم استدارت نحوه وقالت: «أرجوك عانقني».

***

وهكذا أمضيا النهار التالي معاً، وانسحبا إلى غرفة النوم في وقت باكر، رغم أنهما لم يغادراها تقريباً طوال النهار.

ـ ماذا سنفعل غداً؟

www.elromancia.com

سألته لاحقاً، بعدما استحما وعادا إلى السرير معاً.

- ما رأيك لو لعبنا الغولف؟ باستطاعتي أن أعلمك.

- قد أكون ضللتك في هذه النقطة، فأنا مارست رياضة الغولف سابقاً.

فهقه ضاحكاً وقال: «كان يجب أن أعرف، هيا أخبريني المزيد».

- بلغت مرةً مستوى الثماني عشرة حفرة، ولكن ذلك حدث منذ بضع سنوات. ومنذ ذلك الحين، لم أشارك في هذه الرياضة إلا في مناسبات اجتماعية، ومع ذلك، أعرف جميع قواعدها.

- إذاً، لِمَ لا نذهب إلى سانكتشوري كوف، ونلعب الغولف لجولةٍ، ثم نتناول طعام الغداء في فندق هيات أو أي مطعم آخر، إذا كنت تفضلين؟ إنما، يجب أن أعلمك أن لدي دوافع خلفية من هذا الترتيب.

- وما هي؟

- لنرَ، ستكون القرية السياحية ومرسى اليخوت الذي نعمل على بنائه على ساحل سان شابن مماثلين لسانكتشوري كوف. صحيح أن القرية ستخلو من ملعب غولف، ولكنها مشيدةٌ وفقاً للنمط نفسه. وقد قيل لي إن مركباً ما معروضٌ للبيع، وبإمكاننا إلقاء نظرة عليه.

بقيت صامتة للحظات. ثم ابتسمت وهي تفكّر في نفسها سائحةً في مضمار الغولف معه

- إنها فكرة عظيمة. ولكن، هل نستطيع أن نتوقف في طريقنا عند منزلي قبل أن أتصل بالشركة التي ستنقل لي أغراضي.

- أستطيع أن أرسل وارن ليتمم كل شيء، أما غداً فعلينا الانطلاق باكراً. أتشعرين بالنعاس؟

همست: «كثيراً، شعرت فجأة بالإرهاق».

فأضاف فيما كان الهاتف إلى جانبه يرن: «إذاً، اخلدي إلى النوم، سأجيب على المخابرة في الأسفل».

طبع على وجهها قبلة رقيقة، ثم نهض من مكانه، فقالت له وهي

بالكاد تفتح عينيها: «لا تنسَ أن تعود».

- لن أنسى.

ولكنها كانت قد غطّت في نوم عميق عند عودته. فلم تعرف أنه راقبها لفترةٍ طويلة ثم تنهد قبل أن يستلقي إلى جانبها.

ولما استيقظت، وجدت الفراش خالياً إلى جانبها. في ضوء الفجر المنبلج حديثاً، رأته يرتدي ملابسه.

فجلست وهي تتثاءب بلطف ثم قالت: «لم أدرك أنك قصدت بالوقت المبكر انبلاج الفجر، لماذا لم توقظني؟».

- أونور...

تقدم نحوها، وجلس على السرير، ثم أمسك بيديها وتابع: «.. أنا آسف جداً. يجب أن أكون في سنغافورة هذا المساء ولهذا يجب أن أستقل الطائرة في غضون ساعتين».

إن كان قد حبس أنفاسها في الليلة الماضية، فذلك لا يقارن بشعورها الآن. إنها موجةٌ عارمةٌ من الخيبة سرت في عروقها بشدة كادت معها تهتف عالياً.

بدا أنين قلبها وكأنه يقول: لا تفعل ذلك بي ليس بعد أن وقعت في حبك بشكلٍ لم أظنه ممكناً، لا تثبت لي، الآن، أنك آلةٌ وليس رجلاً، لا سيما عندما فات الأوان على التراجع..

قال لها بلطف: «أونور... ثقي أنه لو كان باستطاعتي العدول عن ذلك، لفعلت. ولكن لسوء الحظ هذا ليس ممكناً».

وجدت صعوبة في فتح فمها المطبق: «لا.. أعني أنا أصدقك. إذاً، لن نلعب الغولف اليوم، ليكن».

ثم حاولت أن تقول بابتهاج: «ربما في يوم آخر».

- نعم، فما زالت تنتظرنا الكثير من الأيام الأخرى.

- لا بأس.

ثم حررت يدها من قبضته، ونهضت من الجانب الآخر للسرير.

- ما رأيك لو ذهبت معك إلى المطار لأودعك؟ وهكذا، يستطيع وارن أن يوصلني إلى البيت. . لقد تذكرت لتوي أن النادي الذي أنتمي إليه يقيم مباريات البطولة اليوم. وأعتقد أنهم سيدعونني أشارك رغم أنني تأخرت بتسجيل اسمي!

- أونور. .

قاطعته بحزم: «لا يا راين، أنا على ما يرام. فهذه الأعمال لا يمكن التملص منها».

فاقترب، إلى حيث وقفت برداء النوم الحريري الرقيق وقال: «يمكنك أن تأتي معي».

فقطبت جبينها: «في الواقع، لا أستطيع، فصلاحية جواز سفري قد انتهت، مع أني تقدمت بطلب جواز جديد، ولكنني لم أستلمه بعد. كم ستطول مدة سفرك؟».

وضع يديه حول خصرها وقال بتقطع: «ليس كثيراً. عليّ. . عليّ أن أعيد الأمور إلى نصابها، وهي صفقة مهمة جداً وحيوية بالنسبة لشركة بايلي للإنشاءات. . وإلا لما غادرتك هكذا».

نظرت في عينيه وهي تتساءل هل نجحت في إخفاء مشاعر الألم، والاضطراب. . ولكنها قالت له بخفة: «. . . أنا أصدقك».

* * *

ولكن الأحداث اختلفت في المطار. وفجأة لم يعد باستطاعتها إخفاء تيار المشاعر القوية التي تدفق في داخلها، فقالت بنبرة مرتجفة قليلاً: «أشعر وكأنك ستغيب إلى الأبد، أعتقد أنه من الأفضل أن أودعك الآن بدلاً من الانتظار».

ثم مالت إليه وعانقته برقة قبل أن تقول: «اعتن بنفسك».

فأخذها بين ذراعيه وعانقها بمزيج من الشوق والتمهل. ولما انتهى، كانت ترتعش كورقة خريف.

- وأنت اعتني بنفسك أيضاً سأتصل بك.

* * *

لم تلعب أونور التنس يوم الأحد مع أنها تمنت عدة مرات خلال النهار لو فعلت. فقد أمضت وقتها وهي تطوف في شقتها، عاجزة عن صرف أفكارها المعذبة.

وبعد كل الأفكار المتلاطمة، استنتجت أن أقصى ما تتمناه هو قضاء بقية عمرها زوجته وصديقته وأم أولاده.

ولكن، هل ستتحمّل أن تأتي في المركز الثاني في حياته بعد شركة بايلي للإنشاءات؟ هل ستتحمل الأحداث التي حذرها منها الآخرون، لا سيما وأنها بدأت تبصر أول خيطٍ منها منذ هذا الصباح بالذات؟

ثم فكرت: ولكن ماذا بعد ذلك؟ ترى، هل أبالغ في تقدير الأحداث؟ فعلى الرجال أن يعملوا. . إذاً، ما الذي أريده؟ رجلاً يعمل من التاسعة صباحاً حتى الخامسة مساءً فقط؟ لكنني أعرف أن هذا لن يكون أبداً، كما أنني لا أتوقعه. ولكن أن يقطع هذا الوقت الثمين الذي نمضيه معاً بصورةٍ مفاجئةٍ، وألا يستطيع إرسال بيل، أو أي شخص آخر، أو حتى تأجيل سفره ليوم واحد فقط. . فهذا ما لا أتحمله أبداً.

هل يعود السبب لأنه لا يرضى أن ينوب عنه أحدٌ، لا سيما أنه معتادٌ على التحكم والسيطرة أم لأن ما من امرأة ستضاهي أعماله منزلةً في قلبه؟ كما يجب أن آخذ ساندرا بالحسبان. .

ولكنها، كما تبين لاحقاً، فاجأتها صدمة في صباح الاثنين تتعلق بساندرا بايلي. فقد كانت في مكتبها لما دخل عليها بيل فورنشون.

حيته بإيجاز: «مرحباً يا بيل هل جئت لتهديني المزيد من النصائح؟».

فأغلق الباب، ورمقها بجدية ثم قال بهدوء: «أنت ترتكبين غلطةً كبيرةً يا أونور».

ردت عليه بحدة: «اسمعني الآن يا بيل، هذا أمر لا شأن لك به بتاتاً، وأنا في الحقيقة لا أفهم لماذا. . .».

- إلى أين سافر؟

فجأة عبست وردت: «إلى ستغافورة.. لماذا تسأل؟».

قطب جبينه: «لقد أصبح كتوماً أكثر من المعتاد. هذا كل ما في الأمر، هل أخبرك عن سبب سفره؟».

- ليس تماماً، ولكنه سافر للعمل، كالعادة..

توقفت بغتة عن الكلام، وقد عجزت عن كبح جماح التورد في وجنتيها.

ثم قالت بعد لحظة من التأمل: «بيل، ماذا تتوقع أن تكون ردة فعل راين على انتقاداتك هذه؟».

رد عليها متذمراً: «إن كان نزيهاً فسوف يوافقني الرأي، على الأرجح. أنظري لقد ورد اسم ساندرا في الصحيفة».

- أوه؟ لماذا؟

- ستتزوج ثانيةً.

همست: «ماذا؟».

أكمل عنها: «نعم، وأنا تفاجأت بدوري، لم أعتقد أنها ستتغلب على حبها لراين، أبداً. وربما لم تتغلب حتى الآن».

- ماذا تعني بذلك؟

- سوف تتزوج بشاب يصغرها بعدة أعوام، وهو يبدو شخصاً انتهازياً.. إنه من هؤلاء الموسيقيين الذين يعانون العوز والفقر المدقع.

أدركت أونور أنها تحدق فيه فاغرة الفاه، فاستدركت نفسها واستمعت إلى كلماته التالية: «ومع ذلك، أنت على حق، فلا شأن لي بكما.. هل قال متى يعود؟».

- كلا.

فما كان منه إلا أن أسر لها: «أتعرفين يا أونور، أحياناً من الصعب جداً العمل مع رجل لا يثق بأحد، ويريد القيام بكل الأمور بنفسه. وقد شاءت الظروف أن أعرف أن ساندرا قد دفعت ثمن زواجهامنه غالياً جداً».

ثم استطرد قبل أن يغادر مكتبها وهو يبتسم لها بحزن. «لا أعرف ما الذي يدفعني إلى قول هذه الأشياء، ولكن أعتقد أن ذلك يعود إلى محبتي لك».

تهاوت أونور على مقعدها. ولسبب ما تذكرت كيف أقدم راين، منذ بضعة أسابيع، على سحق بيل بكلامه ولومه.. أما لماذا وردت هذه الصورة على بالها، ولماذا ينتابها شعور مريبٌ، فذلك ما لا تستطيع فهمه.

ثم فكرت في زواج ساندرا من رجل يصغرها بخمسة أعوام، وبقية كلام بيل. وما لبثت أن أغمضت عينيها ولامت نفسها: «ما الذي فعلته؟».

ولكنها في تلك الليلة ظلت تسأل نفسها عمّا يجب أن تفعله وما إن كادت تصل إلى قرار حتى تلقت مخابرة من راين في وقت متأخر

- أونور؟

- نعم، هذه أنا. كيف حالك؟

ولم تستطع أن تجد أي كلماتٍ أخرى.

- اشتقت إليك، هل فزت في مباراة التنس؟

- لا، فأنا لم أشارك في اللعب. وقد أمضيت النهار كله في العمل على المعرض.. وسيكون جاهزاً في غضون يومين.

- عظيم. متى ستحصلين على جواز سفرك؟

- أوه، لست متأكدة. لقد طلبته منذ أسبوع فقط. وقالوا إن إنجازه يتطلب أسبوعين، لماذا تسأل؟

- لقد قررت أن أتابع سفري إلى طوكيو، بما أنني أصبحت على قاب قوسين منها وأستطيع أن أصيب عصفورين بحجرٍ واحد. وفكرت في أن تلحقي بي، ولكن لا بأس بذلك.

- نعم.. راين...

- أونور، هل من سوء؟

أجابته بمشقةٍ: «راين، هل تعرف أن ساندرا سوف تتزوج؟».

ساد صمتٌ قليلٌ ثم شتم وقال: «كلا، من الذي ستتزوجه؟».

أخبرته بكل ما تعرفه ثم أنهت حديثها قائلةً: «يبدو ذلك مفاجئاً. أليس كذلك؟».

رد عليها بإيجاز: «مفاجئاً جداً، اسمعي سأعود على أول طائرةٍ متجهةٍ إلى بريسبان».

ثم قال بخشونة: «اللعنة على ذلك. عندي اجتماعان غداً صباحاً.. لذلك لن أتمكن من العودة إلا بعد غد. أونور.. كيف عرفت بهذا الأمر؟».

- يبدو أن إحدى الصحف اليومية قد نشرت الخبر. أنا..

فكرت في أن تخبره عن لقائها وساندرا، ولكنها لم تجد الشجاعة للقيام بذلك. وبدلاً من ذلك، تابعت: «تكهنت بأنك تود أن تعرف».

رد عليها بانزعاج: «من غيرها يقدم على مثل هذا التصرف؟ اسمعي، للأسف، أنا مضطر لقطع هذه المخابرة، ولكن سأتصل بك قبل أن أعود بعد غد».

وضعت سماعة الهاتف في مكانها، ثم حدقت إليها بعد لحظة وفكرت. نعم وحدها ساندرا تستطيع الإقدام على هذا التصرف، يا للمسكينة، ولكن على الأقل سيقطع رحلته من أجلها..

وفي اليوم التالي، أمضت العمل حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل، ثم انتهت من تحضير معرض التحف، حتى أصبح جاهزاً للإفتتاح. ولما غادرت المكتب، تركت رسالة لراين على طاولة بام، بعنوان «سري وخاص».

وفي الصباح التالي، استقلت بدورها طائرةً متجهةً إلى كوينزلاند الشمالية، حيث هبطت في جزيرة هاميلتون، ثم استقلت المركب السريع الفاخر «هان كودس» فوصلت عبر مضيق ويتسانداي إلى جزيرة هايمان، حيث عزمت على دفن روحها، بانتظار أن تندمل جراحها، لا سيما بعد القرار الذي اتخذته بالخروج من حياة راين بايلي إلى الأبد.

* * *

وبعد أن مضى عليها عشرة أيام في الجزيرة، طالعها يومٌ آخر شعرت

فيه كعادتها بالشوق والحنين، وإذا بها تقرأ في إحدى صحف بريسبان خبرين يهتز لهما كيانها.

كان الأول مجرد تعليق بسيط نشر تحت إحدى صور حفل زفاف، ما هو إلا زفاف ساندرا بايلي من المدعو مايكل ويتتوورث، وهو رجلٌ طويل الشعر ويضع على عينيه نظارات بإطارٍ دائري ورفيع. فأخفضت الصحيفة عن نظرها، وحدقت إلى الفراغ لعدة دقائق والذهول يغشي عينيها

أما الخبر الثاني، فمنشور ضمن الصفحات الاقتصادية التي كانت تتصفحها، لتراجع أسعار الأسهم التي ورثتها عن والدها. وقبل أن تصل إلى الصفحة المناسبة وقع نظرها على اسم بيل فورتشون. أما عنوان المقالة، «بيل فورتشون ينفصل عن العمل مع راين بايلي، في ظروف غامضة» نظراً إلى الوقت الطويل الذي أمضاه في العمل في شركة بايلي للإنشاءات هو يأمل، كما تابعت المقالة، ألا يكون ذلك مؤثراً على أي مناصب داخلية تعاني منها هذه المؤسسة، التي تنفذ حالياً عدة مشاريع بناء هامة.

سألت أونور نفسها: لماذا؟ لماذا ترك ساندرا تتزوج شخصاً لتظهر ردة فعلها؟ وهل تعاني الشركة فعلاً متاعب؟ ماذا لو أنه أرهق نفسه فوق طاقتها، فقرّر الابتعاد؟ هل تخلّيت عنه في أوقاتٍ صعبة؟ لماذا لم يخبرني بذلك؟

وحدقت أمامها من دون أن ترى إلا الفراغ، كما حدث ذات مرة من قبل. وشعرت فجأة بالاختناق، وجالت بنظرها على الجزيرة، ولكن جمالها وروعتها لم يؤثرا فيها، بل احتقرت نفسها على انشغالها عنه.

عادت في الصباح التالي. وذهبت إلى المكتب في ساعةٍ متأخرةٍ من بعد الظهر، لا لأنها ترغب في ذلك بل لأنها كانت متأكدة من أنه المكان الذي ستجد راين فيه إذا لم يكن مسافراً. ونظراً لأنها فشلت في استجماع الشجاعة الكافية للاتصال بمنزله والتحدث إلى ماري.

بالطبع، أستطيع أن أنتظر، أو أن أتصل ببام على الهاتف وأترك له

خبراً. لكن، هل سيأتي، بعد كل ما كتبته في الرسالة عن نفوري من ذلك الإنسان الذي تحولت إليه، إنسان لم أعد أتعرف على نفسي فيه ولا أشعر بالارتياح إليه؟ أعتقد أنه يجب أن أتنازل عن كبريائي هذه المرة، وأذهب إليه..

ولم تدرك أنها أقدمت على غلطة فظيعة إلا حين خطت داخل ردهة مبنى بابلي للإنشاءات، ووقعت على حفل استقبال، ورأت الوزير من بابوا نيوغينيا الذي رمقها للحظة وهي تقف في مكانها متذهلة.

وما لبث أن صافح بيده الضخمة يدها الرقيقة وقال: «أونور! أنا سعيد لمجيئك. مع أنك تركت العمل عند السيد بابلي، على ما أعتقد، إلا أنني أردت تهنئتك على هذا التنظيم الممتاز للمعرض، والذي قمت به كله، كما قيل لي. وهذا يجعلني فخوراً جداً أن أجد هذه الآثارات القديمة لبلادي تُعرض بهذا الشموخ ويُشرح عنها بمثل هذه البلاغة!».

ابتلعت أونور ريقها وقالت بصوت واهن: «هذا من دواعي سروري يا معالي الوزير».

- كنت أقول للتو للسيد بابلي.. آه، ها هو. كنت أقول، يا سيد بابلي، إنها امرأة موهوبة جداً، فهذه ابنة القاضي لينغارد، ألم أقل لك هذا يا راين؟

وهنا، تلاقت نظراتهما، وتفحصها راين من رأسها إلى أخمص قدميها كما فعل مرة من قبل، إنما، هذه المرة باحتقار جارح وواضح، قبل أن يعلن: «نعم، لقد قلت ذلك. وأنا أوافقك يا معالي الوزير.. فهي موهوبة فعلاً.. ولكن من المؤسف أنها لا تعرف كيف تستغل مواهبها».

علق الوزير بنبرة ضاحكة: «رويدك! أنت تشعر بالمرارة لأنها هجرتك، ومن المؤكد، أنني، لو كنت مكانك لشعرت بالمثل! ولكن يا عزيزاي، أرجوكما، لا تفسدا سعادتي! أونور، أود تقديمك إلى بعض الأشخاص».

وهكذا أفلح في إبعاد أونور، وإبقائها إلى جانبه حتى غادر المدعوون

الحفل. وهنا وجدت نفسها إلى جانب راين، تقوم بتوديعهم رسمياً، وتتصنع الابتسام، وتشعر وكأنها مشدودة إليه بإحكام.

قال لها أخيراً فيما كانت سيارة الليموزين تخرج من الساحة الأمامية للمبنى: «إذاً، لقد انتهينا».

ثم استدار نحوها وعلى وجهه ابتسامة عدم رضى وتابع «ألم تستطيعي أن تقاومي الرغبة في الاحتفال بانتصارك لساعةٍ من الزمن يا أونور؟ أم أنك عدت لتلقنيني درساً آخر؟».

- أنا.

ولم تكمل وبدلاً عن ذلك، لعقت شفتها.

قال متأملاً بعد أن انتظر بتهذيب منهكم وهي تحاول أن تتكلم: «أنا متأكد أن كلامي لن يكون لطيفاً جداً، ولكن هل تذكرين ما حدث في المرة الأخيرة عندما عدتِ لتلقنيني درساً، أو تعريي عن كراهيتك لي؟ تشاء الظروف أنني أتذكر بوضوح كامل كل ذلك».

* * *

١٠ ـ التاريخ يعيد نفسه

كانت أونور تشتعل غيظاً مما دفعها إلى الابتعاد عنه بخطوات واسعة، ولم تفطن، إلا بعد مرور خمس دقائق، أنها تسير في الاتجاه المعاكس لمراب السيارات، فاستدارت على عقبيها وعادت أدراجها. وفيما كانت تنتظر عند إشارة المرور لتعبر الشارع، توقفت سيارة لامبورغيني زرقاء إلى جانب الرصيف الذي تقف عليه.

وارتفع صوت راين: «التاريخ يعيد نفسه.. إصعدي يا أونور».

ـ لا.

ـ اسمعي، إما أن تصعدي، أو أخرج من السيارة وأطاردك طيلة الطريق إذا اضطررت لذلك.

ـ لن تفعل!

ـ بلى، سأفعل. فما زال بيننا أمور عالقة يا سيدة بابلي. ولكن ليست هذه الطريقة الفضلى لحل المشاكل.

ولما انتهى من كلامه، أطفأ محرك السيارة، ومد يده إلى مقبض الباب.

شتمته بكلمات لاذعة، وصعدت إلى السيارة.

فعلق فيما كان يدير المحرك: «هذا هو التصرف الحكيم».

رمقته بنظرة حارقة، ثم قالت وهي تصرّ على أسنانها: «شرط ألا تأخذني إلى البيت، سواءٌ أكان منزلك أو منزلي. وإلاّ اضطررت إلى الخروج من السيارة، فيما أنا أصرخ ملء صدري».

رد عليها بتهكم: «أتخافين بهذا القدر من وجودك في منزلي أو منزلك؟ ترى ما هو السبب؟».

ثم أضاف: «لا بأس سنختار مكاناً محايداً لحل هذا الخلاف البسيط».

ثم قاد سيارته إلى المطعم حيث تناولا العشاء معاً للمرة الأولى علقت بجفاء فيما كان النادل يقودهما إلى طاولة «هذا المكان مناسب!».

فأمعن النظر فيها بتهكم، ولاحظ فستانها الأزرق الفاتح المزين بزهورٍ بيضاء، وقال: «يبدو لي أنك فقدت بعض الوزن يا أونور. ماذا فعلت؟ هل قطعت وعداً على نفسك بالجري الماراتوني لكبح غضبك وسخطك؟».

فرمت حقيبتها على الطاولة، وهمست بصوتٍ متشنج: «إذا تلفظت بكلمةٍ واحدةٍ إضافية عن هذا الموضوع، فسأنفجر فيك غضبي».

رد عليها ببرودة: «أنت تجعلين من نفسك أضحوكة، بالإضافة إلى أنك تتسببين بمشهد لا يسر الناظرين. اجلسي».

انتظر حتى تجلس، فيما كان يحدق إليها بنظرات أكثر حزماً، وأشد قساوةً مما عرفته منه في السابق. فنظرت إلى ما حولها، ثم تهاوت على الكرسي وقد اكتست وجنتاها باللون الوردي.

فجلس بدوره، ولما ابتعد النادل، قال: «والآن، هلاّ تفضلت وشرحت لي ماذا قصدت بالرسالة الانفعالية المشحونة جداً التي تركتها لي؟».

فارتشفت جرعةً من العصير، كي تتمالك أعصابها وردت: «لم تكن انفعالية أو مشحونة جداً، بل تحمل الحقيقة المجرّدة لا غير. أنت لست رجلاً، أنت مجرد آلة، والعمل يعني لك أكثر من أي شيء آخر في الدنيا، لكنني لن أنضم إلى الصف الذي ألحقت به ساندرا على سبيل المثال ولن يدهشني أبداً إن كانت تتبعها الكثيرات غيرها».

ـ إذاً أنت وقعت في حبي؟

www.elromancia.com

ردت عليه بمرارة: «كلا، لقد وقعت في حب سراب، لكنني أتردد في اتهامك أنك وقعت في حبي، فربما كنت أنا سراباً بالنسبة لك.. وللأسف أعتقد أني كنت سراباً بالنسبة لنفسي أيضاً».

سألها بهدوء: «ماذا يعني ذلك؟».

فأسندت ظهرها إلى الكرسي، ثم أجابت بعد طول انتظار: «لم أتوقع أن أشعر هكذا بل لم أعتقد أنني قادرة على هذه المشاعر. أما أنت، فقلت لي في إحدى المرات إنه لا تناسبك إلا امرأة تتمتع باستقلالية».

- ستبقين دوماً يا أونور امرأة تتمتع بالإستقلالية.

فنظرت إليه بسخرية بالغة، ولكنها قررت ألا تركز على هذا الموضوع ثم تابعت: «هذا إلى شعوري بالذنب تجاه ساندرا..».

وسألته نجأة: «لماذا لم تمنع هذا الزواج؟».

رد عليها وقد ضاقت عيناه فجأة: «أخبريني أولاً لماذا تشعرين بالذنب تجاه ساندرا؟ فكما أذكر، وافقتني على أن الطلاق كان أفضل لنا من أي حل آخر نلجأ إليه».

- هذا قبل أن تخبرني بنفسها عن شعورها بالحب نحوك، وقبل أن ألقي عليها خطبةً واعظةً حول هذا الموضوع.

- متى جرى ذلك؟

فاستقامت في جلستها، ووضعت كأسها على الطاولة وسألت: «ألم تخبرك ماري؟».

- ليس حسبما أذكر.

ابتلعت ريقها قبل أن تعترف: «لقد جاءت إلى منزلك يوم.. حسناً..».

- يوم هريت؟ في المرة الأولى أم..؟ فقد تكررت هذه المناسبة ثلاث مرات حتى الآن، أليس كذلك؟

فحدقت إليه بتمالٍ.

- في إحدى هذه المناسبات، اضطررت فجأة للذهاب في «رحلة

عمل».

- آه. نعم، أنا أذكر ذلك.

رفع حاجباً وأضاف: «لكنني لم أكن صادقاً معك تماماً. لقد أخبرتني ساندرا بنفسها عن ذلك، عندها حاولت أن أمنع الزواج ليس إلاّ».

قالت له بعد صمت طويل: «تابع حديثك».

رد عليها برصانة: «ربما عليّ أن أستهلّ من الأول.. من ساندرا. مايكل وينتوورث ليس موسيقياً معوزاً أو يعاني الفقر المدقع. بل في الحقيقة، هو عازف مزمارٍ موهوب، ولكنه أصغر سناً من ساندرا بخمس سنوات، ولم ينجح بكسب الكثير من المال. كما أنه أيضاً رجل أخرق وانعزالي ومبهم، ولا يعرف جيداً كيف يعتني بنفسه، ولكنه يحب ساندرا بعمقٍ وصدقٍ وإخلاص».

قالت ثانية، إنما بصوت أحست أنه ينبع من الأعماق: «تابع يا راين».

- ولدهشتها، وجدت ساندرا نفسها تبادله هذه المشاعر. ولكنها لم تستطع أن تستمر بها لأنه.. يصغرها سناً، ولأنها لا تثق بنفسها، ولأنه...

وتوقف عن الكلام ثم أنهى حديثه: «... ليس أنا».

فقالت بصوتٍ يكاد يكون مسموعاً: «أعتقد.. أنني بدأت أفهم».

رد عليها: «أتمنى ذلك، ويبدو أن ما قلتِه لها حقق في دقيقتين ما عجزنا عن تحقيقه جميعاً في سنواتٍ. قالت إن ما حدث كان اجتياحاً جعلها تبصر الحقيقة. فأدركت فجأة أنها لا تستحق من يحبها، لا سيّما حين تخسر نفسها وتمسي انعكاساً له. وقالت أيضاً، إن مايكل أعطاها الشجاعة لتدير ظهرها إلى العالم وإليّ أيضاً. كما أعطاها الشجاعة للإقدام على الزواج من رجلٍ يصغرها سناً، لا لسببٍ إلاّ لأنها ستكون سعيدةً معه. وهذا كما يبدو، هو ما تحتاج إليه. أما أنا، فباركت لهما هذا الزواج».

مسحت أونور دمعةً انهمرت فجأة على خدها وقالت بصوتٍ أجش: «لقد أزحت عبئاً ثقيلاً عن كتفي».

www.elromancia.com

- أهذا يعني أنك ستعودين إليّ بضمير مرتاح؟

همست له: «كلا»

ثم أشاحت بوجهها فيما كان الطعام يقدم لهما.

فانتظر حتى ابتعد النادل، فاستعدّت لكلماته التالية، ولكن ما سمعته أذهلها تماماً: «الأنك تفضلين أن تصدقي بيل فورنشون؟».

- كيف... عرفت ذلك؟

ابتسم ابتسامةً كئيبة وقال: «لعلك لم تسمعي بعد يا أونور، ولكن بيل قد ترك العمل».

- أعرف ذلك! فهذا أحد الأسباب التي.. ولكني لا أفهم..

وانقطع حبل تفكيرها من الحيرة.

فجازف متكهناً: «أحد الأسباب التي دفعتك إلى العودة؟».

- حسناً.

ولكنها لم تستطع المتابعة.

قال بجفاء: «إذن دعيني يا أونور أخبرك حكاية بيل.. بدأت الحكاية، كما تذكرين، يومَ غضبت جداً منه بسبب العقود الثلاثة التي خسرتها الشركة أثناء غيابي ولكنني لم أترك الأمور عند ذلك الحد. فأخذت أنقب عن الحقائق حتى ثبت لي أن السبب وراء خسارتنا يعود إلى أن أحداً ما سرّب معلوماتٍ إلى الشركة المنافسة».

ففغرت فاها: «بيل؟».

- للأسف، نعم. وكان يجب أن أنصب له فخاً، كي أحصل على البرهان.

- إذاً لهذا.. قال ما قاله. أنا أعني.. في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها معه، لم أستطع أن أفهم لماذا يريد أن يعرف مكانك بالتحديد.

- كان بدأ يرتاب في الأمر. فالمخابرة التي تلقيتها في الليلة الأخيرة التي قضيناها معاً، كانت من مدير مصرفٍ في سنغافورة، وهو صديقٌ لي. وكان إلى جانبه رجلٌ يملك برهاناً قاطعاً على أن بيل وقع في الشرك الصغير

الذي نصبته له. لكنه يرفض أن يغادر سنغافورة، فخشيت أن يعبر رأيه ويختفي أثره. ولهذا كان من المهم جداً أن أنهي هذا الوضع بضربةٍ واحدة، ولأسباب لست مضطراً لإخبارك بها.

ثم أنهى كلامه والتقط سكينه وملعقته وشوكته، وأضاف «تناولي طعامك قبل أن يبرد».

سألته بعد أن تناولت لقمتين. «ولكن لماذا؟»

أجابها راين من دون انفعال. «لماذا فعل بيل ذلك؟ لقد تسلم مبلغاً محترماً لقاء بيعه هذه المعلومات، ولكن في الأمر سر أبعد من ذلك. فقد اتفق أن بيل كان يحسدني حتى بات في النهاية يكرهني على الأقل، هذا ما أخبرني به عندما واجهته وأخبرني أيضاً أنه حاول جهده كي يبعدك عني. وأضاف أنه يعتقد جازماً أنه أنلح في ذلك..».

توقف عن الأكل، ونظر مباشرةً في عيني أونور «ونظراً لهروبك، وجدت صعوبة في ألا أصدقه، يا عزيزتي أونور».

سألته بعد مرور لحظةٍ قصيرة وهي تشعر بالقنوط: «ما الذي دفعه إلى كراهيتك لهذه الدرجة؟».

- أتحاولين أن تضربي عدة عصافير بحجر واحد، يا أونور؟

- أنا لا أعرف ماذا تعني.

- بل تعرفين. أنت ترمين لإظهاري على صورة الوحش الذي يبعد موظفاً قديماً بأساليبه المتعجرفة، إذا لم يكن أسوأ. وعلى أي حال قد أكون متعجرفاً ولكني لطالما كنت منصفاً، وأكافىء الجهود الفعلية بكرمٍ فائق.

أنهى حديثه، وعندئذٍ أحست أونور أنها ستختنق بلقمةٍ من اللحم المشوي. ولما انتابها سعال شديد، قال لها: «اشربي قليلاً من العصير».

فعملت بنصيحته، ثم تمتمت بجفاء: «ومع ذلك، أنت تذكّرني بمن لا يتردد في القضاء على كل من يعترض سبيله يا راين، ولعلي أتيت على ذكر ذلك قبلاً».

www.elromancia.com

- وهل ما زلت تذكرينني في الوقت الحاضر.. في السرير، مثلاً؟

قاطعته بصوتٍ هامس فيما تقلبت حرارة جسمها صعوداً ونزولاً: «كف عن ذلك، كيف.. كيف يمكن الرد على مثل هذا الكلام...».

رد عليها بلطف: «القدر؟».

- نعم! أليس من العجب..؟

فقاطعها ثانية: «العجب في ذلك يا أونور، هو أنك برفقتي، تكونين هادئة وسعيدة. لا بل أستطيع أن أقول هانئةً. أما حين أبتعد عنك، فتخافين وتهربين مني، حتى بعد أن اخترقت كل حواجزك، الواحد تلو الآخر ولكن دعينا نترك الحديث إلى مسار آخر.. لماذا لا تعودين إليّ وبهذا يمكننا أن نمضي وقتاً أطول معاً».

- فتتشاجر في كل لحظة وكل دقيقة؟ لا. شكراً يا راين، بل سأذهب الآن. لا تُقدم على أي تصرف، أحذرك لا تلحق بي!

فتمعن فيها فيما انتفضت واقفة: «أونور.. لا، لن أفعل، ولكن سأقول لك شيئاً واحداً. قد تعترضنا المشاجرات من وقتٍ إلى آخر، ولكن لا أستطيع أن أتصور امرأة غيرك تؤثر فيّ كما تفعلين، كما لا أستطيع أن أتخيلك مع أي رجل آخر. ومن يدري؟ قد يكون هذا التأثير ما حولني من آلةٍ إلى رجل».

- ولكن.. أنا آسفة، فلا أستطيع أن أستحيل ببساطةٍ تلك الصورة التي رسمتها في خيالك.. وأتمنى لك حظاً سعيداً يا عزيزي. قد تتضح أفكارك في يوم ما، وتدرك أن فشل حبك هو أفضل ما أقدمت عليه.

نهض لها لياقةً، ولم يقدم على أي تصرف بل اكتفى بالنظر إليها من دون انفعال، فيما كانت تحاول جهدها لمنع دموعها من الإنهمار، ثم استدارت على عقبيها ورحلت..

في اليوم التالي، ألفت أونور نفسها غارقةً في التفكير، فيما كانت مستلقيةً على السرير، وهي تعاني من صداع رهيب: لو أنه لم يكن أحياناً كريهاً وجارحاً!

ثم هتفت بصوتٍ مرتفع: «حبذا لو باستطاعتي التوقف عن التساؤل إن كنت قد ارتكبت غلطة لا تغتفر».

جلست في مكانها وأسندت ظهرها إلى الوسائد، قبل أن تلف ذراعيها حول ساقيها الطويلتين وتابعت: «لو أنني أتوقف عن التفكير فيه لكنني لا أستطيع حتى أن أجد الكلمات المناسبة لأصف ما يولده فيّ من مشاعر وها أنا الآن أشعر بخسارةٍ لم تلم بي قط طيلة حياتي!».

وما لبثت أن نهضت من مكانها وهي لا تجد جواباً واحداً لتساؤلاتها وطافت في الشقة لفترة من الوقت. ثم حضرت كوباً من الشاي وحملته مع الصحيفة اليومية، عائدةً إلى السرير مرةً أخرى. لكن أيّ خبرٍ لم يثر اهتمامها، حتى فتحت صفحة أسواق الأسهم، ووقعت على المقال المنشور عن «بايلي للإنشاءات».

وإذا به بيانٌ صحفي صادر عن راين وينعلق ببيل فورتشون، جاء فيه أن انفصال بيل عن الشركة كان قراراً مشتركاً وهو يتمنى لبيل ولزوجته وعائلته النجاح والسعادة، ويشكره على خدماته التي أداها لشركة بايلي للإنشاءات خلال فترة عمله.

أعادت أونور قراءة البيان مراراً، ثم أغمضت عينيها، ولكنها نهضت بعد مرور خمس دقائق واستحمت، ثم ارتدت ملابسها فاختارت سروالاً واسعاً أبيض اللون وقميصاً فضفاضاً أزرق اللون. ولما خرجت، دهشت بالمطر ينهمر في الخارج.

حدقت إلى الفراغ حولها لوقت طويل، ثم هزت كتفيها بلا مبالاة والتقطت مفاتيح سيارتها.

ردت ماري على الهاتف الداخلي، وأخبرتها، بصوتها الخالي من النبرات، أن السيد بايلي موجود، وأنها لن تتأخر في فتح البوابة ثم استقبلتها عند الباب الأمامي، وأبلغتها والقلق بادٍ على محياها، أن السيد بايلي في غرفة الجلوس الثانية، ولتدخل أونور عليه مباشرةً.

ولمّا ولجت الغرفة، كان راين يقف عند النافذة التي تطل على

الحديقة، وقد دس يده في جيب بنطاله، وبدت كتفاه منحنيتين على غير عادة وظلّ على تلك الحالة، إلى أن سمعت بصوتٍ مسموع، وعندئذٍ، استدار وقع نظره عليها، فاتسعت عيناه من الدهشة.

فتلعثمت أونور: «ألم تـ.. تخبرك ماري أن الزائر أنا؟».

ـ ماري؟ لم تخبرني بأن زائراً ينتظرني حتى.

ـ على أي حال.. هل تمانع باستقبالي؟

فهز كتفيه ورد: «يبدو أنك وجدت حليفاً في ماري يا أونور، أما بالنسبة إلى ممانعتي أو سماحي، فستعرفين ذلك مع الوقت، هل أقدم لك شراباً؟».

ولما تقدّم نحوها، لاحظت أنه يرتدي قميصاً فيه مزيج من اللونين الأبيض والرمادي. وكانت أكمامه طويلة، فيما ربطة عنقه منحلة.

ـ لا.. لا، شكراً. لقد أتيت لـ.. لأحاول أن أوضح بعض النقاط.

فأمعن النظر إليها من دون انفعال لفترةٍ طويلة، ثم تمتم: «على الرحب والسعة، تفضلي واجلسي».

ـ أفضّل أن أبقى واقفة.

ـ لا بأس.

ولكنه لم يحذُ حذوها، بل جلس على إحدى الأرائك الجلدية.

قبضت أونور يديها للحظةٍ وجيزة، وهي تشعر أن قلبها يكاد يقفز من صدرها، ثم ابتلعت ريقها، وقالت بغتة: «لماذا أصدرت هذا البيان الصحفي عن بيل؟».

ـ لأن لديه عائلة تتألف من زوجةٍ وأربعة أولاد.

فأشاحت بوجهها عنه، وإذا بنظرها يقع على لوحة سيسلي. فتمعنت بها للحظةٍ طويلةٍ ثم عادت لتوجه إليه نظراتها، وقد أصبحت أكثر تمالكاً لنفسها: «جئت أتحدث عن هذا».

ـ عن عائلة بيل؟

ـ لا. لطالما شعرت أنني لا أعرفك تمام المعرفة، ولكن عندما أمعنت

التفكير اليوم، اكتشفت أن العكس هو الصحيح. ولم أدرك ذلك إلا بعد قراءة بيانك الصحفي.

فرد عليها بجفاء: «أعذريني، ولكنني لا أفهم تماماً ما تقولينه».

فأجابته ببطء: «لقد أدركت أنه رغم أسلوبك المتعجرف مع الناس، فأنت.. حساس..».

والتقطت أنفاسها ثم تابعت: «لو كان أي رجلٍ في مكانك، لما سمح لبيل فورتشون أن يفلت بجريمته من دون أي عقاب، كرمى لعائلته وحسب. ولن يهتم كثير من الرجال بزوجة سابقةٍ كما فعلت مع ساندرا. بالإضافة إلى بام التي استهلكت كثيراً من وقتك الثمين كي تخلصها من علاقةٍ رهيبة..».

فقاطعها وهو يعبس: «لم أفعل إلا القليل».

ثم نظر إليها مستفهماً: «لا تقولي لي إنها أيضاً.. ؟»

وردت عليه ببساطة: «إنها على استعداد لمحاربة العالم بأسره من أجلك، أمّا أنا...».

ـ ماذا عنك يا أونور؟

تحركت فجأةً، وجلست على مقعدٍ إلى جانبه وقالت: «لقد أحسنت الاعتناء بي عندما كنا مخطوفين، ولم تنتهز أي فرصةٍ لإغوائي».

ـ إذاً؟

ـ راين.. كما ترى لقد اكتشفت أنني أعرف عنك ما يفوق إدراكي، ولكن بطريقةٍ تزيد الطين بلة.

توقفت قليلاً عن الكلام ثم تابعت: «هل تعرف ما حدث لي في صباح سفرك إلى سنغافورة؟».

لكنه لم يأتِ جواباً، بل اكتفى بالنظر إليها بعمقٍ واهتمام

ـ شعرت برغبةٍ في الصراخ، وتمنيت أن أقتلك، لا سيّما أنك زوجت فيّ الإحباط.

تراءى لها أنه تنهد، ثم مد يده لها. فنهضت بعد لحظةٍ طويلةٍ متوترة،

وانتقلت لتجلس إلى جانبه. وما لبث أن وضع ذراعه حول كتفها. وإذا بها تجد نفسها تبكي.

تابعت وهي تنوح: «كان بعدك عني عذاباً بحد ذاته، ولكن الأسوأ هو أنني شعرت بالكره لأنك تبتعد عني، لا نحوك وحسب بل نحو نفسي أيضاً. وأنا على الأرجح غير منطقية في تفكيري، ويبدو أنني لا أستطيع إقناع نفسي بمشكلتي. وهذا ما عنيته عندما قلت إني غير مرتاحة ذاتياً. «وغير مرتاحة» هو تعبيرٌ معتدل لما أشعر به».

فاحتضن جسدها المرتعش ولثم شعرها وقال: «أونور».

- لا، دعني أنهي كلامي.. ولذلك هربت، ولكن كان ذلك فظيعاً أيضاً. وحاولت إقناع نفسي بأنني أستطيع أن أقاوم. ولكني عرفت داخلياً أن لا سبيل إلى ذلك، حاولت أن أقول لنفسي إن علي أن أكون الزوجة المحبة والمخلصة، والمرأة اللائقة اجتماعياً، والأم الحنون، وإن السرور سيغمرني بكل ما تمنحه إياي. ولا بهم إن تغيّبت عن حضور مباريات الأولاد أو أعياد ميلادهم أو نسيت عيد ذكرى زواجنا، أو حتى جولةً من الغولف، لأن البديل عن ذلك.. سيكون أسوأ. ولكن، كما ترى، أنا أدرك الآن أن في داخلي مشاعر لا أستطيع التحكم بها.. وهذا كل ما عندي.

ولمّا قالت ذلك أسندت رأسها على كتفه. وتابعت: «وما يحدث الآن، آخر ما يمكن أن تتوقعه امرأة شامخةٌ إلى حد الغباء، تدعى أونور لينغارد بايلي، ولكنه حدث».

ثم أضافت بصوت يكاد يكون مسموعاً: «لا ليس هذا كل شيء. فما زالت الكثير من المشاعر خفية عني.. فهل تحبني حقاً؟ وماذا لو مرّ الوقت ولمّا تحظ بوريث لشركة بايلي للإنشاءات؟».

- من أوحى لك بذلك؟

- ساندرا.

- هل أخبرك بما طلبت مني ساندرا أن أقوله لك يا أونور؟

رفعت وجهها المبلل بالدموع إليه، من دون أن تنبس ببنت شفة.

- قالت إنه لو تسنى لها البحث عن امرأة لي، لما اختارت غيرك.

- كيف..؟ كيف يمكنها أن تدرك ذلك.. وهي بالكاد تعرفني.

- لا، ولكنها تعرفني جيداً، ولا بد أنها استنتجت بعض المعلومات عنك. وأنا أستطيع أن أخبرك ماذا سيحدث لشركة بايلي إن لم تنجبي لي أولاداً يرثونها؟

همست له: «ماذا سيحدث؟».

- سوف أبيع الشركة.

فانتفضت وهي تتلعثم: «ر.. راين. ولكن.. ولكن..».

فرد عليها وهو يشدها إليه: «أعرف، اسمعي. لو قيل لرجل يدعى راين بايلي، منذ شهور قليلة، إن امرأةً ستعني له ما تعنين لي أنت الآن، لما صدّقهم. ولكن عندما بدأت أعي مشاعري نحوك، عرفت أنك قد تكونين المرأة التي لن أستطيع الفوز بها. وهذا ما أفقدني صوابي، ولهذا تزوجتك. أما عندما ظننت أنني فزت بك، فقد قمت بتصرف أحمق كأن أتركك مثلاً.. ولعلّ بعض العادات لا تموت بسهولة. ولكن كما ترين، يجب أن أعترف لك بأنني كنت أحاول أن أتخذ التدابير حمايةً لنفسي في حال لم أتمكن من الحصول عليك.. وفي حال وصلت علاقتنا إلى هذا الطريق».

فشهقت بصوت مرتفع.

ولكنه تابع بنهكم: «لن تصدقي شدة المرارة التي اجتاحتني عندما ظننت أنني خسرتك نهائياً. وعلى الأرجح لهذا هاجمتك بهذه الطريقة، الليلة الماضية. أنا آسف يا حبي، آسف حقاً على كل الحماقات التي تفوهت بها. وفي الواقع، كانت ذكرى الليالي التي أمضيناها معاً تسكن ذاكرتي قبل دخولك. فأحس بالسكاكين تقطعني لأنني ظننت أنني قضيت على كل ما بيننا.

- راين..

فقاطعها بلطف: «لا، دعيني أنهي كلامي.. لطالما حلمت بحب مثل هذا.. بامرأة تثيرني، امرأة أدرك تماماً أنني لن أضجر منها، امرأة تستولي على روحي، امرأة يثلج صدري لمجرد رؤيتها تمشي أمامي، أو تجلس على مقعد قبالتي في المكتب، امرأةٍ تجعلني أتحدث إليها ساعاتٍ بلا مللٍ ثم بدأت أحلامي تتحقق معك، ولكنها اقترنت ببعدٍ إضافي.. شعرتُ بأنني وقعت في حب تمثال من الرخام. فتساءلت عن قدرتي على بعث الحياة في عواطفك مجدداً وعلى النار فيك من أجلي. وانتابني إحساس غريب بالخوف.. الخوف من ألا أكون الرجل المناسب.. الرجل القادر على بعث تلك المشاعر في قلبك. لقد مرت سنوات جعلتني أيأس من حصول هذا التغيير، فتحولت إلى إنسان تغمره المرارة اعتاد على التعويض عن هذا النقص في حياته بأشياء أخرى، مثل العمل وعزة النفس..»

همست والدموع تتلألأ في عينيها: «راين.. راين، أهذا حقاً ما تشعر به؟»

- سيثبت لك الوقت حقيقة مشاعري، لكن...

رفعت يدها إلى شفتيه تسكته: «لا، أردت أن أقول إن لا داعي لمزيد من هذا الكلام»

طبع على أطراف أصابعها قبلات رقيقة ثم أبعد يدها بلطف:

- بلى. أنا أشعر بحاجة لأن أخبرك أنني قد لا أتغير بين ليلة وضحاها، رغم ما قلته لك. وأنني أتمنى أن ألقى استقبالاً لم أعرف له مثيلاً من قبل في كل مرة تجبرني الظروف على الابتعاد عنك.

قاطعته بهمسة رقيقة: «ما دمت تعني ما تقوله حقاً، وشرط ألا تتغيب عني إلا في حالات نادرة. أعدك بأن أكون شجاعة. أحبك... وقطعة الرخام التي تتحدث عنها لم تعرف يوماً طعم السعادة التي تشعر بها الآن».

أجابها وهو يضمها إليه بقوة: «ولا أحست الآلة الواقفة أمامك بهذا الشعور من قبل»

وحين اشتد عناقه، تملصت بدلال طفولي. «أظن أن علينا الانتظار».

أطلق العنان لضحكة وهو يضمها إليه بحنان كبير: «عندما أكون معك أشعر وكأنني أتسلق جبل جليد تحت شمس محرقة، وأعبر محيطاً أزرق على متن مركب شراعي ورذاذ فضيّ يتطاير من حولي، وأنا أتأمل انعكاس أشعة القمر ترسم طريقاً ذهبياً على المياه العميقة الساكنة»

ارتجفت وكأن نسمة لفحتها وقالت: «أنت تقول كلمات جميلة جداً في بعض الأحيان».

* * *

وبعد مرور سنة كانا يحتفلان بمناسبة رائعة، إذ حملا ابنتهما البالغة من العمر ثلاثة أشهر إلى الكنيسة ليتمّ عمادها. ابنة قال راين إنها تشبهها كثيراً.

- ولماذا تقول إنها تشبهني؟

سألت أونور وهي تنظر إلى تلك الطفلة الصغيرة النائمة بين ذراعيها بعد انتهاء الاحتفال.

- أراها شابة ذات ساقين ممشوقين، وطبيعة شرسة تجعلني أذوق الأمرين.. لا أعلم... أراها تشبهك فحسب.

ضحكت أونور وقالت: «ينبغي أن تعترف أنه مضى وقت طويل على الزمن الذي أذاقتك فيه والدتها الأمرين».

أمسك بيدها وخرجا معاً من غرفة الطفلة: «لا أعلم... أرى أن الأمومة تشغلك كثيراً وتبعدك عني. وأنا أعاني الأمرين منذ بعد ظهر اليوم».

- راين.. أما زلت ترى فيّ صورة شعاع القمر والجبال وكل تلك الأشياء التي كنت تصفني بها؟

- لا.

واتسعت عيناها فسارع بضيف:

www.elromansia.com

ـ أرى فيك أكثر من هذا الآن. أرى فيك السلام والاستقرار. لكن يكفي أحياناً أن تمرّي أمامي في غرفة الجلوس حتى أرغب بحملك إلى عالمي والغريب أن هذا ما سأفعله الآن أيتها الأم الحنون. ألا يقال إن على الأمهات أن يسترحن في أوقات راحة أطفالهن؟

وتطبت جبينها وفي عينيها بريق غريب: «أرتاح؟! ألا تخلط هنا بين الشعور بالأمومة ومفهوم الزوجة المحبة؟».

قبلها على جبينها برقة: «أفهمت ما أعنيه؟».

ـ لا.

ـ ما زلت تذيقينني الأمرين.

ـ لكن التفكير ببعض الوقت للراحة ولشيء آخر معك، يجعلني أشعر أنني في جنة لا تعرفها سوى الزوجات والأمهات... وأحياناً لا أصدق أنني أعيش فيها.

وأظلمت عيناها فجأة بشك مريب. فأمسك بوجهها يدنيه منه وقبل رموش عينيها الدامعتين: «أيجدر بي أن أقول إننا خلقنا لنكون معاً يا أونور؟».

التصقت به وهي تتنهد تنهيدة ارتياح عميقة: «أظن ذلك رابن!».

***